جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة مكملة لنيل شهـــــادة ماستر الطور الثاني ل.م.د

في فلسفة غربية معاصرة

مفهوم الديمقراطية في الفكر الغربي أليكسيس دوطولفيل أنموذجا

الطـــــالبة:

***– عباس عابدية**

الإشـــــراف:

د. فضيلة مبارك

لجنـــــــة المناقشـــــــــة

الأستاذ (ة)	الرتبة	الصفة
د. حاجة بن ناصر	أستاذة محاضر أ	رئيسا
د. فضيلة مبارك	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
د. بلوط صبرينة	أستاذة محاضر أ	مناقشا

السنـــة الجامعية: 2021–2022

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما وجهناه من صعوبات ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة مبارك فضيلة التي لم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عونا لي في إنجاز مذكرتي المتواضعة

مع فائق الاحترام والتقدير

إهـــــداء

الحمد و الشكر لله على عونه و هديه، ثم الشكر لكل من كان له الفضل في إنجاز هذا العمل

{وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}.

أهدي ثمرة جهدي إلى من بحبها رعتني ومن فيض عطفها سقتني وعلى الفضائل ربتني وسبل السعادة علمتني إلى من كان دعئها سر نجاحي وحنانها بلسم لجراحي فكانت الشمعة التي أنارت دربي عسى أن يحفضها ربي.

"إليك يا أعز الناس على قلبي أمي."

إلى من علمني العطاء دون إنتظار إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار إليك يا من جعل نفسه شمعة تحترق لنفسي لنا درب النجاح أرجو من الله أن يرحمه ويجعل قبره روضة من رياض الجنة.

"إليك أبي العزيز رحمة عليك "

إهدائي الخاص: إلى من ضحت بحياتها ومالها من أجلي سوف أهديكي هذه العبارات القليلة في حقك وأهديكي هذا النجاح لعلك تقطفين ثمار إنتظارك الأم والسند والروح ..... زهية.

إلى من ربطني بهم حبل الأخوة إلى إخوتي الأعزاءلخضر، قادة، إبراهيم، عبد الجبار، عادل، مرسلي، محفوظ، سايح، محمد، عبد القادر، خيرة، عابدية، هوارية، فتيحة، بشرى، نور الهدى، رهف، ريماس، ياقوتّ، وإلى كل من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي

عابديـــة

مقدمـــــــة

مقدمة

يتمحور اهتمام الفلسفة السياسية على تحليل إشكالية الدولة، إذ جاء الخطاب الفلسفي السياسي لدراسة النموذج الأمثل، وقد اتخذ من الدولة كقاعدة أولية لتخرج منها إشكاليات أخرى جزئية.

ومن بين هذه الإشكاليات المثارة من قبل هذا الخطاب نجد إشكالية الديمقراطية والتي شغلت حيزا واسعا في حقل السياسة، إذ تعد المناخ الأولي لبروز تطور هذا الحقل المعرفي في أثينا خاصة، ومنذ إنتكاستها في موطنها الأصلي والتي بدأت بإعدام سقراط، فقد أصبح هذا المفهوم طموح البشرية وهدف النظريات الفلسفية ليرتكز الإهتمام بها في الفكر السياسي طيلة تطور مراحل الفلسفة والسياسة معا، أي من العصر اليوناني وصولا إلى المرحلة الحديثة والمعاصرة.

وقد ظهرت مقولة الديمقراطية في بداية العصر الحديث على شكل نظرية، وهذا لعلاج المسائل المتشبعة التي أثارتها العصور الوسطى المظلمة، بالتالي ظهرت كرد فعل ضد تسلط الكنيسة وسيطرت رجال الدين وضد تسلط الملكيات المطلقة المقدسة التي طبقت على الفرد والمجتمع بقيود خانقة، وكرغبة في المساواة والحرية والسعادة والتماسح.

وفي هذا الإطار سجل فلاسفة العصر الحديث أمثال روسو ومونتيسكو مجالات عديدة تحت إيطار الثورة الفرنسية، لإعادة صياغة السلطة والتنظيم لمشروع سياسي جديد، وبإرجاع السياسة والسلطة والحكم لأصلها، ليرتكز بذلك المفهوم ديمقراطية، ومنه فالديمقراطية نظرية مثقلة بكموح التغيير بين الحداثة والدولة المدنية.

وفي هذا التجلي الواقعي للمرحلة الحديثة ظهرت من الناحية النظرية رؤى متباينة، حاولت في مجملها تحليل هذه الأوضاع، وإبراز القيم الجديدة لهذه المرحلة وبالتالي إعادة التنظيم الديمقراطية التي أصبحت ميزة وطبيعة المجتمعات الحديثة.

في صميم هذه النظريات اللبرالية الهادفة إلى حماية الحخريات برزت رؤية أكسيس دي توكفيل (alexis de tocquewlle) كقراءة للحداثة في شفها السياسي محاولا تحليل واقع الديمقراطية غير فاصل مزدوج فاصل زمني يتميز بين النظام الإقطاعي والنظام الديمقراطي محددا التغييرات والتحولات الحاصلة عن بروز الديمقراطية والأخر مكاني، يفصل بين المجتمع الفرنسي والمجتمع الأمريكي واحدا، النتائج المتباينة للديمقراطية في كلا البلدين، ومحللا الحداثة في جوهرها العقلاني ومظاهرها البارزة كالعلمانية والرأسمالية، وفي متون هذه المستجدات التاريخية تندرج هذه الدراسة بهدف تحليل الرؤية التوكفيلية، وذلك من خلال الإجابة على الإشكالية التالية:

إذا كانت الديمقراطية الجوهر السياسي للمجتمع المدني، فما هو المفهوم النظري والعملي الذي بلوره توكفيل للديمقراطية؟

وقد إندرجت تحت هذه الإشكالية إشكاليات أخرى فرعية أهمها:

ما هي طبيعة الديمقراطية؟، وما هي أهم النتائج المرتبة عليها؟، وما هي إنعكاسات ديمقراطية دوتوكفيل على الفكر الأمريكي خاصة والفكر السياسي عامة؟، وما هي أهم تطورات التي وقعت فيها الديمقراطية؟، وللإجابة على هذه الإشكاليات اعتمدت على قراءة الموضوعية المثلي لنظرية توكفيل

والتعمق في رؤية الديمقراطية، وذلك بالعودة إلى مؤلفات توكفيل بالخصوص كتابه المشهور "عن الديمقراطية في أمريكا" وكتابه الآخر "النظام القديم والثورة الفرنسية" في نسخته الفرنسية لتبيان حالة المجتمع الفرنسي وتبيان خطواته إتجاه الديمقراطية مقارنة بنظيره الأمريكي كما اعتمدنا على بعض المراجع الأساسية التي تعد كقراءات خاصة بتوكفيل، أهمها:

- ألكيس دو توكفيل قراءة في بعض أفكاره ومواقفه لـ د. عبيد بوداود.
- ماذا رأوا في أمريكا؟ لـ جيمس نولان.
- أمريكا من الداخل لـ صلاح عبد الفتاح الخالدي.
- التاريخ السري للديمقراطية لـ بنجامين عيسى خان.
- تاريخ الفلسفة السياسية لـ ليوشراوس.

وقصد تحليل هذه الإشكالية اعتمدت على جملة من المناهج، أولها المنهج التاريخي الكرونولوجي الذي يسمح لي بإتباع المقولات الأساسية عبر مسارها التاريخي، ورصد نشوء المفاهيم المتعلقة بالديمقراطية، كما اعتمدت في الأساس على المنهج التحليلي باعتبار هذا الآخر يصلح لتحليل الآراء والأفكار التوكفيلية واستخلاص العناصر الفكرية المكونة لهذه الرؤية، ولإتباع خطى توكفيل وتبيان مميزات وخصائص المجتمع الديمقراطي مقارنة بالمجتمع الأستقراطي ومن ثمة كيفية توفيق توكفيل بين الديمقراطية المبنية على المساواة وبين الليبرالية القائمة على الحرية كما اعتمدنا كذلك على المنهج المقارن الذي اعتمدته للمقارنة بين المجتمع الفرنسي والأمريكي.

ومن أجل إثراء الموضوع والإحاطة بكل عناصر الإشكالية إرتأيت تقسيم البحث إلى ثلاثة فعول إضافة إلى مقدمة وخاتمة.

مقدمة

الفصل الأول بعنوان: جينيالوجيا وكرونولوجيا

والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ضبط المفاهيم

المبحث الثاني: تطور مفهوم الديمقراطية عبر التاريخ

المبحث الثالث: ما بين الديمقراطية الليبرالية والإشتراكية

أما الفصل الثاني: فجاء بعنوان الديمقراطية عند دو توكفيل والذي عرجت من خلاله إلى موضوعي الأساسي وقد قسمته إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الديمقراطية عنده

المبحث الثاني: انعكاسات ديمقراطية دوتوكفيل على الفلسفة الأمريكية.

المبحث الثالث: أهمية ديمقراطية دو توكفيل في الفلسفة السياسية الأمريكية

وفي الفصل الثالث: والذي جاء بعنوان دراسة نقدية ويدوره قسمناه إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهم الإنتقادات الموجهة لدوتوكفيل.

المبحث الثاني: ثغرات الديمقراطية.

المبحث الثالث: أهم الإنتقادات التي وجهها دوتوكفيل على الديمقراطية السابقة عنه.

خاتمة: وقد أنهينا عملنا بخاتمة والتي جعلناها كحوصلة إستنتاجية لما استخلصناه من المفهوم التوكفيلي للديمقراطية.

أما الدوافع الأساسية التي قادتني إلى اختيار هذا الموضوع يمكن أن أستخلصها أساسا في ما يلي:

- الأهمية البالغة التي تحتويها الديمقراطية، فقد فرضت هذه الأخيرة نفسها على الإنسان المعاصر، حتى بات يعتقد أنها الشكل الطبيعي الوحيد للتنظيم السياسي، فقد أصبحت الغاية النهائية للنظام السياسي الراهن.

- المكانة الدافعية التي يحتلها موضوع الديمقراطية عموما والديمقراطية الليبرالية على وجه الخصوص، في الخطاب السياسي المعاصر، فبعد الحرب الباردة وإنهيار منافستها الشيوعية، تعززت ثقة العالم بالليبرالية الديمقراطية وقد بادرت الولايات المتحدة الأمريكية بحملها تحت شعار دمقرطة العالم، وقبل ذلك بما يزيد عن قرن تنبأ توكفيل بصعود قوتان ـو دولتان لتحكما العالم، ومن هنا بدت لنا أن المكانة الفلسفية التي يحتلها توكفيل تملي ضرورة الاهتمام به ودراسة رؤيته الفلسفية في كل أبعادها بما فيها كتاباته حول الجزائر.

وقد واجهت عدة صعوبات في بحثي هذا وتمثلت في:

الانعدام التام لبعض المصادر بالخصوص رسائله حول الجزائر وكذا الكتب الدارسة للفكر توكفيل في الجزائر، باستثناء بعض الهوامش التي فتحتها بعض الكتب والتي لا تتجاوز عشر صفحات، وهذا ما

دفعنا إلى الإعتماد على بعض المقالات الدارسة لفكر توكفيل وهذا ما وضعني أمام صعوبة توثيق المصادر والمراجع والتي كان من الممكن أن تعيق قيام هذا البحث.

وصعوبة التوفيق والربط المحكم بين العناصر الكثيرة التي أثارها دوتوكفيل في بنائه لنظرية الديمقراطية فكتابه الديمقراطية في أمريكا، جاء على شكل موضوعات مبعثرة، فوض منظمة بحيث يسهل استخلاص الفكرة العامة حتى أنه أفصح عنها في مقدمة الجزء الأول لكن في المقابل يصعب الغوص في كل التفاصيل المهمة وتنظيمها لبناء عناصر فكرية تخدم الموضوع.

إن دراسة هذا الموضوع تتطلب الكثير من البحث والتنقيب سعيا بذلك إلى دراسة ترتقي إلى مستوى قضية إمكانية تحقيق العدالة والمساواة في ظل مجتمع ديمقراطي وبالتالي اعتمدت في ذلك إلى جملة من المؤلفات لضبط مفهوم الديمقراطية وكذا التطور التاريخي له، عبر التاريخ ومن بين أهم تلك المراجع نذكر منها: الدرسات السابقة

- عبيد بوداود – ألكسيس دوتوكفيل قراءة في بعض أفكاره ومواقفه في 2015/01/01
- المثقف والسلطة لـ ألكسيس دوتوكفيل وشرعيته للسيطرة والإستطان في الجزائر من خلال محمد زيرق.
- جدلية الثورة والديمقراطية عند ألكسيس دوتوكفيل بقلم يوسف الصديق 22 يونيو 2015.
- ليو شترواس جوزيف تاريخ الفلسفة السياسي كما أنه هناك عدة مراجع ساهمت في إنجاز هذا البحث إلا أننا اختيارنا كان ضمن الأهم.

إلا أننا لاحظنا أن هذه المراجع قد ساهمت بنشر بعض أفكاره حول الديمقراطية والسلطة إلا أن هذه المراجع لم تقدم الطرح الكافي لنظريته في الديمقراطية كما اعتمدنا على مصادر ألكسيس دوتوكفيل في الديمقراطية.

الفصل الأول

جينيالوجيا وكرونولوجيا

المبحث الأول: ضبط المفاهيم.

المبحث الثاني: تطور مفهوم الديمقراطية عبر التاريخ.

المبحث الثالث: ما بين الديمقراطية الليبيرالية والديمقراطية الاشتراكية.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم.

1)- الاشتراكية:

أ)- **لغة**: الاشتراكية مصدر صناعي من الاشتراك، يقال اشتراك الرجلان أي كان كل منهما شريك الآخر، واشتراك الشريكان في الأرباح تقاسماها، وشركة الشريك نصيبه، وشركة الشركات شركة مالية تمتلك الأسهم شركات أخرى، تقوم بعمليات تهم هذه الشركات وتوجه نشاطها أو تراقبه والاشتراكية كاسم جمع أشراك وشراك وشرك، الشرك حبائل العيد، والمصيدة الكمين مصدر شرك، نصب شركا لشخص دبر له مكيدة أو مؤامرة ليتخلص منه[1].

ب)- **اصطلاحا**: تعرف الاشتراكية على أنها نظام سياسي اقتصادي شيعوي يقوم على مفهوم الملكية العامة الجماعية أو المشتركة التي تلغي حق الفرد في امتلاك وسائل الإنتاج هذه المصنع، بالإضافة إلى كافة الأدوات والآلات المستخدمة لإنتاج السلع المختلفة، بهدف توفيرها حاجيات الإنسان كلها، ومن الطبيعي أن يتبادر مصطلح الشيوعية إلى هنا فور الحديث عن الاشتراكية، فهما مصطلحان شاملان ناتجان عن مدرستين يساريتن للفكر الاقتصادي ويتشاركان في كونهما النقيض المعارض للرأسمالية[2]، والجدير بالذكر هنا أن الاشتراكية سبقت الشيوعية إذ رأس كل من كارل ماركس وفريديك أنجلز أسسها في عام 1848.

ويعود الأمر للحكومة باتخاذ كافة القرارات والمسائل المتعلقة بالإنتاج والتوزيعات القانونية إذ يعتمد الأفراد عل ى الدولة في توفير الأساسيات المعيشية كالغذاء والدواء، مع تحديد التسعيرة الخاصة بثمن تلك الخدمات المقدمة للأفراد ويؤكد الاشتراكيون على أن الملكية المشتركة للموارد توفر توزيعا عادلا للأفراد في المجتمع[3].

---

[1]- ابن منظور لسان العربي، دار المعارف القاهرة، مج1، د.ت، ص 46.

[2]- مرجع نفسه، ص 47.

[3]- روزنتال الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1985، ص 36.

وإذا رجعنا إلى معنى الاشتراكية إلى ما قبل كارل ماركس، فإننا نجدها قد ظهرت في أماكن عدة في دعوات إلى إلغاء الملكية الفردية وإلى نبذ التقاليد والأعراف وشيوعية الأموال والنساء بين الجميع ويطلق على هذه الاشتراكية الاشتراكية القديمة قبل مرحلة ظهور النظام الرأسمالي الذي يناقض الاشتراكية تماما في تقديس الملكية الفردية التي تميزها بل وقبل ظهور الإسلام بمئات السنين على عهد أفلاطون[1]، وقد استفاد كارل ماركس من هذه النظريات السابقة في نظريته الشيوعية أو الاشتراكية العلمية الغربية على الأديان.

إن اصطلاح الاشتراكية لم يستخدم من قبل سنة 1800م وأن سان سيمون 1825 هو أول من استعمل عبارة ربط فيها المجتمع بالاقتصاد، فظهرت كلمة socialism مشتقة من كلمة society ويقال أن روبرت أوين أول من استعمل كلمة socialism ولكن الحركات التي تحارب الظلم الاجتماعي ترجع إلى القرن السادس عشر وأهمها:

- الاشتراكية الطوبية التي نادى بها more sir thomas
- اشتراكية بابيف ودعاة المساواة 1796م
- مشروعات روبرت أوين 1771-1858م.
- سان سيمون والمسيحية الجديدة 17600-1825م[2]، وكلها تطالب بالعدل الاجتماعي والرفق بالعمال وأسرهم والاشتراكية وإن كانت تعارض مبدأ الرأسمالية الذي يقوم على الملكية الفردية ويقر التفاوت بين الطبقات فإنها ليست وليدة الرأسمالية لأنها وجدت قبل الرأسمالية.

2)- الحكم:

أ)- لغة: المنع وسمي القضاء حكما لأنه يمنع النزاعات والخصومات ومنه قول أبي تمام "السيف" أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد والكذب. فمعنى أحكموا سفهاءكم أي امنعوهم[1].

---

[1]- روزنتال الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 37.

[2]- ابن منظور لسان العرب، م1، مرجع سابق، ص 47.

والحكم في اللغة هو المنع لذلك فإن حسب الإنسان في الزنزانة يسمى حكما، وهو كذلك إثبات أحد لآخر أو نفيه.

ب)– اصطلاحا: عرف علماء الأصول الحكم بأنه خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين إقتضاء أو تخييرا أو وضعا.

وهو أيضا إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه فإذا قلت الصلاة واجبة فقد أثبت حكما لهذه العبادة وهو الوجوب، بمعنى أنك أثبت وجوب الصلاة[2].

وأقسامه هي:

1– **الحكم الشرعي:** هو ما كانت النسبة فيه مستفادة من الشرع مثل الصلاة واجبة.

2– الحكم العقلي: هو ما كانت النسبة فيه مستفادة من العقل مثل الكل أكبر من الجزء.

3– الحكم العادي (التجريبي): هو ما كانت النسبة فيه مستفادة من التجربة والعادة كما يستفاد أن هذا الدواء لهذا الداء.

4– الحكم الحسي: هو ما كانت النسبة فيه مستفادة من الحس كحكمنا أن النار معرفة والماء مرو.

5– **الحكم الوضعي:** هو ما كانت النسبة فيه مستفادة من الوضع كقولنا الفاعل مرفوع[3].

3)– الدولة:

أ)– لغة: في لسان العرب هي اسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال، الدولة والدولة بالضم في المال والدولة بالفتح في الحرب، وقبل هما سواء فيهما في الحرب وقبل سواء فيهما يضمان ويفتحان وقيل بالضم في الآخرة، وبالفتح في الدنيا وقيل هما لغتان فيهما الجمع دُول

---

[1]– يوسف عادل العزازي، معنى الحكم وأقسامه، شبكة الألوكة، 2015، ص 08.

[2]– مرجع نفسه، ص 09.

[3]– مصطفى محمد الزحيلي، كتاب الوجيز في أصول الفقه الإسلامي.

ودَول، الدُولة والدَولة لغتان ومنه إدالة الغلبة وأدلنا الله من عدونا من الدولة يقال اللهم أدلني على فلان أنصرني عليه، وتداولنا الأمر أخذناه بالدول والدولة لغة في التوبة يقال جاءنا بدولاته أي بدواهيه وجاءنا لدولة أي بالداهية[1].

ب)– اصطلاحا: هي مجموعة من الأفراد الذين يعيشون على بقعة جغرافية محددة ويمارسون نشاطهم فيها، كما أنهم يخضعون لنظام سياسي محدد متفق عليه لتولي شؤونها وأيضا تشرف على العديد من الأنشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بهدف تحسين حياة الأفراد الشعب والازدهار والتقدم بالدولة ومن مكونات الدولة الأفراد والسياحة والإقليم والحكومة والاستمرارية السياسية[2].

وتعود جذور كلمة الدولة للغة اللاتينية لكلمة position التي تعني الوقوف كما ظهر مصطلح الدولة في اللغات الأوروبية في مطلع القرن الخامس عشر، وفي القرن الثامن عشر تطور مصطلح الدولة واستخدم تعبير publical اللاتيني والذي يعني الشؤون العامة وللدولة عدة تعريفات وضعت من قبل المؤسسات ولاسيما الأوروبية وإن التعريف الأكثر شيوعا هو تعريف ماكس فيبر إذ عرفها بأنها منظمة سياسية إلزامية مع حكومة مركزية تحافظ على الاستخدام الشرعي للقوة في إطار معين الأراضي[3].

في حين رأى العديد من فقهاء القانون الدستوري أن الدولة كيانا إقليميا يمتلك السيادة داخل الحدود وخارجها ويحتكر قوى وأدوات الإغراء وثمة تعريف آخر للدولة وهو الوارد في اتفاقية montevideo بشأن حقوق وواجبات الدول في عام 1933، وقد عرفت الدولة بأنها إقليم

[1]– علوى عبد القادر السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، موقع الدورر السنية،ج7، على الأنترنت 1433هـ، ص 436.

[2]– بن عباد، تح، محمد حسين آل ياسين، المحيط في اللغة، عالم الكتب، 1994، ص 436.

[3]– الفيروزي أبادي، القاموس المحيط مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص 443.

محدد وحكومة قادرة على المحافظة والسيطرة الفعالة على أراضيها وإجراء العلاقات الدولية مع الدول الأخرى[1].

وبالرغم من البساطة التي تميز بها تعريف الدولة إلا أنها مفهوم الدولة إلا أنها مفهوم الدولة والبحث في تحديد أصل نشأتها وأساس السلطة فيها يثير في الواقع عددها هائل من الإشكاليات فالدولة هي حقيقة سياسية لأن المجتمع الدولي يتكون أساسا من وحدات سياسية يحمل كل منها لقب الدولة والدولة أيضا مفهوم قانوني قصد منه ابتكار أداة ملائمة لتنظيم العلاقة بين وحدات سياسية غير متكافئة في القوة على أساس من العدالة والمساواة[2].

4)– الديمقراطية:

أ)– لغة: تعتبر كلمة الديمقراطية democracy كلمة يونانية تتكون من مقطعين، المقطع الأول demos ويعني الناس أو الشعب، والمقطع الثاني kratein ويعني الحكم، ولذلك يشير مفهوم الديمقراطية لغة إلى حكم الشعب أو حكم الأغلبية.

وتعود هذه الكلمة إلى اللغة اليونانية القديمة demoskraties ديموكراتوس تفي حكم الشعب[3].

ب)– اصطلاحا: تعرف الديمقراطية اصطلاحا بأنها نظام الحكم، حيث تكون السلطة العليا بيد الشعب الذي يمارس سلطته بشكل مباشر، أو عن طريق مجموعة من أشخاص يتم انتخابهم لتمثيل الشعب بالاعتماد على عملية انتخابية حرة حيث ترفض الديمقراطية جعل السلطة كاملة ومركزة في شخص واحد أو على الأوليغارشية (حكم الأقليات)[4].

---

[1]– الفيروزي أبادي، القاموس المحيط مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص 444.

[2]– ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح، مجموعة من المحققين، معهد المخفوظات العربية، القاهرة، (دس)، ص 356.

[3]– ابن منظور لسان العرب، م1، مرجع سابق، ص 344.

[4]– إبراهيم بن محمد الحقيل، مناقضة الديمقراطية للإسلام، www.saaid.net، 29-09-2017 على الساعة 16:02.

وقد عرفها الرئيس أبراهام لينكون بأنها حكم الشعب من قبل الشعب ومن أجل الشعب وفي العصر الحالي أصبح نظام الحكم الديمقراطي هو النظام المفضل للحكم في جميع المجتمعات، ويرجع ذلك إلى إمكانية الأفراد المجتمع التعبير عن خياراتهم اتجاه كل من إدارة الحكم العام في البلاد وتوزيع الموارد والمشاركة بشأن العملية الإدارية[1].

وقد تم تطبيق الديمقراطية بشكل بدائي في أنحاء مختلفة من العالم منذ القدم، إذ كانت أشكال الحكم الاستبدادية والأقليات هي أشكال الحكم المنتشرة في ذلك الوقت، وتعود البداية تطبيق الديمقراطية إلى الإغريق والرومان، حيث تم تطبيق أول نموذج رسمي للديمقراطية في المدينة اليونانية أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد[2]. وقد ميز النموذج الأثيني عن باقي الأنظمة بتطبيق الديمقراطية المباشرة.

والتي تتم من خلال اجتماع أفراد الشعب ومناقشتهم مسائل الحكومة وتنفيذ القرارات السياسية دون الحاجة لاتخاذ ممثلين عنهم، وما ساعد على نجاح هذا النوع هو سهولة تطبيقية بسبب قلة أعداد المشاركين بشكل مباشر في السياسة لأنه كان للذكور فقط الحق من ثلاث جهات جمعية ديموس ومجلس الخمسمئة ومحكمة الشعب وتم تشريع قوانين من خلال هذه المجالس[3].

5)– السلطة:

أ)– لغة: الجمع سلطات: سلط، السلطة التسلط والسيطرة والتحكم، تسلط وسيطرة وتحكم، سيادة وحكم السلطة الزمنية المتعلقة بالأمور الدنيوية حكومة أو مسؤولة في الدولة قوة سياسية يخضع لها المواطن والسلطة بمعنى القهر وقد سلط الله فتسلط عليهم السلطة التنفيذية: الحكومة وهيئة موظفيها التي تباشر إجراء القوانين التي تضعها السلطة التشريعية وهي خلاف السلطة القضائية.

---

[1]– إبراهيم بن محمد الحقيل، مناقضة الديمقراطية للإسلام، www.saaid.net، 29-09-2017 على الساعة 16:02.

[2]– عباس محمود العقاد، الديمقراطية في الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، ج1، ص 29.

[3]– عباس محمود العقاد، الديمقراطية في الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، ج1، ص 30.

والسلطة الرابعة هي الصحافة والروحية هي رجال الدين والمختصة المسئولون عن اختصاص معين، وسلطة القانون قدرته على فرض احترامه[1].

ب)– اصطلاحا: إن السلعة authority مفهوم أخلاقي يشير إلى النفوذ المصرف به كليا لفرد أو لنسق من وجهات النظر أو لتنظيم مستمد من خصائص معينة أو خدمات معينة مؤداة، وقد تكون السلطة سياسية أو أخلاقية أو علمية أو ... إلخ، أو يتوقف هذا على مجال النفوذ، كما أن وجود جهاز للسلطة هو شرط جوهري، بحسب النظرية الماركسية التطور التطبيق التاريخي الاجتماعي وقد تؤدي إساءة استخدام السلطة في التحليل النهائي إلى فقد الثقة في السلطة أو إلى العبادة العمياء لها، والتي تؤدي إلى عبادة الشخصية[2].

وهناك عدة تعريفات لمفهوم السلطة نذكر منها التعريف الذي قدمه المفكر الفرنسي زيمون أورون، وقال فيه "السلطة هي المقدرة على الفعل أو التدبير، ويتخذ هذا المفهوم بعده الحقيق عند ممارسة الأفراد سلطتهم على آخرين، فيما اعتبر راسل السلطة بالقوة والمقدرة قائلا "يمكن تعريف السلطة بأنها عبارة عن إيجاد التأثيرات المنشودة، إذا فهي مفهوم كمي"[3].

إن النقطة الأساسية المشتركة بين التعريفين هي اعتبار السلطة ظاهرة كمية والمراد منها الأدوات والوسائل المتوفرة لدى الفرد أو المؤسسة السياسية أو الدولة والسلطة بحسب أغلب الباحثين في علم السياسة هي تلك العلاقة الخطية بين الفاعل والمنفعل كما أن هذه العلاقة إكراهية لا تقوم على التوافق، تخدم مصالح طرف الفاعل (وهو الحاكم) على حساب مصالح المحكوم (وهو المنفعل)[4].

6)– السياسة:

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ح ف الطاء، فصل السين، ص 547.

[2]– روزنتال، الموسوعة الفلسفية تر: سمير كرم، مرجع سابق، ص 248.

[3]– مرجع نفسه، ص 249.

[4]– بيرتراند راسل، السلطة والفرد، آفاق للنشر والتوزيع، بيروت 2017، ص 28.

أ) **لغة:** بأنها عبارة عن معالجة الأمور، وهي مأخوذة من الفعل ساس وسيوس وهي على مصدر فعالة، من مصدر على فعالة، كما أشار ابن سيده قال: وساس الأمر سياسة وقبله الصاحب بن عباد والسياسة فعل السائس، والوالي سيوس رغبته، وسوس فلان أمر بني فلان أي علق سياستهم، وبعدهما الفيروز أبادي وسست الرعية سياسة أمرتها ونهيتها وهي مأخوذة من فعل ساس[1].

ب) اصطلاحا: هي رعاية كافة شؤون الدولة الداخلية والخارجية منها، وتعرف أيضا بأنها سياسة تقوم على توزيع النفوذ والقوة ضمن حدود مجتمع ما، وتعرف كذلك بأنها العلاقة بين الحكام والمحكومين في الدولة، وعرفت أيضا بأنها طرق وإجراءات مؤدية إلى اتخاذ قرارات من أجل المجتمعات والمجموعات البشرية وقد عرفها "هارولد" بأنها عبارة عن دراسة السلطة التي تقوم بتحديد المصادر المحدودة، وعرفها ديفيد إيستون بأنها عبارة عن دراسة تقسيم الموارد الموجودة في المجتمع عن طريق السلطة[2].

وقد عرفها الشيوعيون بأنها دراسة العلاقات بين الطبقات وعرف الواقعيون السياسة بأنها فن الممكن أي دراسة وتغيير واقع السياسي موضوعيا، وليس الخطأ الشائع، وهو أن فن الممكن هو الخضوع للواقع السياسي وعدم تغييره بناء على حسابات القوة والمصلحة وتعبر السياسة عن عملية صنع قرارات ملزمة لكل المجتمع تتناول قيم مادية ومعنوية وترمز لمطالب وضغوط[3]، وتتم عن طريق تحقيق أهداف مستوى محلي أو إقليمي أو دولي.

والسياسة هي علاقة بين الحاكم والمحكوم وهي السلطة الأعلى في المجتمعات الإنسانية، حيث السلطة السياسية تعني القدرة على جعل المحكوم يعمل أولا يعمل أشياء سواء أراد أو لم يرد، وتمتاز بأنها عامة، وتحتكر وسائل الإكراه كالجيش والشرطة وتحظى بالشرعية، ومع أن هذه الكلمة ترتبط

---

[1]- أنتوني بلاك، الغرب والإسلام، الدين والفكر السياسي في التاريخ العالمي، تر: فؤاد عبد المطلب، عالم المعرفة، العدد 394، الكويت، 2012.

[2]- أنتوني بلاك، الغرب والإسلام، الدين والفكر السياسي في التاريخ العالمي، المرجع السابق.

[3]- برهان غليون، نقد السياسة الدين والدولة، المركز الثقافي العربي، ط4، 2007، ص 36.

بالسياسات الدول وأمور الحكومات فإن كلمة السياسة يمكن أن تستخدم أيضا للدلالة على تسيير أمور أي جماعة وقيادتها[1]، معرفة كيفية التوفيق بين التوجهات الإنسانية المختلفة والتفاعلات بين أفراد المجتمع الواحد، بما في ذلك التجمعات الدينية والأكاديميات والمنظمات هذا من تطبيقاتها كما تعني كذلك بدراسة السلوك السياسي وتفحص نواحي وتطبيقات السلطة المحكومة واستخدام النفوذ.

7)- الشورى:

أ) لغة: هي الأمر الذي يتشاور فيه، قال الراغب: التشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم شرت العسل إذا اتخذته من موقعه واستخرجته منه، وشرت العسل وأشرته أخرجته وفي اللسان عن ثعلب أن أشار الداية يشورها شورا ويشوارا وشورها وأشارها، كل ذلك راضها أو ركبها عند العرض على مشترايتها وقيل عرضها للبيع، وقيل بلاها ينظر ما عندها وقبل قلبها، والتشوير إن تشور الدابة تنظر كيف مشوارها أي كيف سيرتها[2].

والشوري مشتقة من فعل شور ولمشتقاته عدة معاني فمنها ما سلف ذكره ومنها استخراج الرأي وتقليده، قال ابن منظور: الشورة والمشورة بضم الشين، مفعلة ولا تكون مفعولة، لأنها مصدر والمصادر لا تجيء على مثال مفعولة وإن جاءت مفعولة وكذلك المشورة وتقوق منه شاورته في الأمر واستشرته بمعنى فلان يصلح للمشورى[3].

ب) اصطلاحا: الشورى طلب الرأي من أهله وإجالة النظر فيه وصولا إلى الرأي الموافق للصواب، وقد عرفها الباحثون بتعاريف عدة ومنها تعريف الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس إذ يقول الشورى تعني تقليب الأراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا واختبارها من أصحاب

[1]- عبد الرحمان بن خلدون المقدمة، تح كاتمير ط، باريس، 1858/ (م1)، مكتبة لبنان، 1992، ص 279.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، م2، فصل الشين، مصدر سابق، ص 437.

[3]- الشيخ أحمد محي الدين العجوز، مناهج الشريكة الإسلامية مكتبة المعارف، بيروت، 1987، ص 128.

العقول والأفهام حتى يتوصل إلى صواب منها أو إلى أصوبها وأحسنها للعمل به لكي يتحقق أحسن النتائج[1].

أما الشيخ أحمد محي الدين العجوز فعرفها بقوله: الشورى هي تبادل الآراء في الأمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلها لأجل اعتماده والعمل به، وعرفت الشورة بأنها استنباط المرء رأيا فيما يعرض له من الأمور والمشكلات، وهذا التعريف يدخل فيه التشاور في كل ما يعرض من المشاكل بين الأسرة كما في حق نظام الرضع كما قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾[2]، ويستفاد من النص ضرورة التشاور[3].

وعرف الشورى الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد بأنها تبادل الرأي بين المشاورين من أجل استخلاص الصواب من الرأي والأنجح من الحلول، والسديد من القرارات، وعرفها الدكتور "هاني" الطعيمات قائلا "الشورى استطلاع رأي الأمة أو من سنوب عليها في أمر من الأمور العامة المتعلقة بها بهدف التوصل فيها إلى الرأي الأقرب إلى الصواب الموافق لأحكام الشرع تمهيدا لاتخاذ القرار المناسب في موضوعه[4].

[1]- الشيخ أحمد محي الدين العجوز، مناهج الشريكة الإسلامية مكتبة المعارف، بيروت، 1987، ص 129.

[2]- سورة البقرة، الآية 233.

[3]- القاضي حسين بن محمد المهدي، الشورى في التربية الإسلامية، المكتبة الشاملة، 2006، ص 36.

[4]- القاضي حسين بن محمد المهدي، الشورى في التربية الإسلامية، المكتبة الشاملة، 2006، ص 34.

8)- الليبرالية:

أ) **لغة:** الليبرالية liberalism مشتقة من كلمة liber وهي معناها باللاتينية الحر والليبرالية في الحاضر عبارة عن مفهوم سياسي هدفه تحرير الفرد من السلطات المتعددة وهو مذهب يقوم على الإعتقاد في أهمية الفرد ورفاهيته وإمكانية التقدم الاجتماعي[1].

وهي من فعل برأل يرأل الديك نفش ريش عنقه متهيئا للقتال ويرأل الراجل أي تحفز للشر، والليبرالي حر متحرر وهي نزعة ترمي إلى التحرر السياسي والإقتصادي وهي حركة سياسة تدعوا إلى الحرية السياسية الغير الخاضعة للسلطة وكذلك حركة[2]، اقتصادية تتبع سياسة عدم التدخل والسوق الحرة وقاعدة الذهب.

ب) اصطلاحا: الليبرالية هي فلسفة سياسية واجتماعية تأسست على أفكار ومبادئ الحرية والمساواة ويتبنى الليبراليون مجموعة واسعة ومتنوعة من الأراء والأطياف تبعا لفهمهم لهذه المبادئ ولكن تدعم الليبرالية بشكل عام أفكار حرية التعبير والصحافة والحرية الدينية والتجارة أو السوق الحرة والتمسك بالحقوق الدينية وإقامة المجتمعات الديمقراطية والدساتير العلمانية ومبادئ الأممية الإنسانية[3].

والليبرالية مذهب فكري يركز على الحرية الفردية وتقدس احترام استقلالية الأفراد وأن الوظيفة الأساسية هي ضمان حريات المواطنين كأفراد مثل الحرية في التفكير والتعبير والملكية الخاصة والحرية الشخصية وغيرها ولهذا تهدف الليبرالية لوضع القيود على السلطة وتقليص دورها وإبعادها عنه التدخل في السوق والمطالبة بتوسيع الحريات الشخصية والمدنية[4].

تهدف الليبرالية لتحرير الفرد بشكل رئيسي، فهي لا تهتم لسلوك الفرد ما دام تأثيره مقتصرا في دائرته الخاصة به وإلا أنها صارمة بخلاف ذلك أي إذا صارت سلوكيات هذا الفرد مضرة بالمجتمع

---

[1]- أبو الفضل حلال الدين ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق حرف اللام، ص 769.

[2]- الجوهري، معجم الصحاح، مرجع سابق، ص 2436.

[3]- قاموس المورد، مرجع سابق، ص 1246.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، م2، د.ت، ص 1456.

فإنها تقول أنه يجب أن يحاسب عليها بحسب القانون، كما تعطي الليبرالية للفرد الحرية بالفكر واعتناق العقيدة وتعتقد الليبرالية أن الفرد هو محور فلسفة الحياة بعمومها، ولذلك يمنه يجب أن تنبع القيم ومحددات الفكر والسلوك للإنسان، وأنم الإنسان أتى إلى الحياة كفرد، وأنه يحق له العيش والحياة بحرية كما يشاء حسب قناعاته لا كما يريد الآخر والمجتمع له طبعا مع ما يستوجب مع ذلك من التسامح وتقبل الآخر المختلف[1].

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، م2، د.ت، ص 1457.

المبحث الثاني: تطور مفهوم الديمقراطية عبر التاريخ

لقد مرت الديمقراطية أثناء تطورها عبر مراحل تاريخية مهمة التي زفت لنا عن ولادتها ونشأها، وليس ثمة صيغة نقية واحدة لها بل تاريخها منشعب ومعقد وناقص يعترف بوجود احتمالات ولحظات ديمقراطية وعلى هذا الأساس اطرح التساؤول التالي:

- ما هي أهم المحطات التاريخية التي مرت بها الديمقراطية؟

1)الديمقراطية عند اليونان:

– عند سقراط: رفض سقراط فكرة بروتاجوراس عن امتلاك الجميع السياسة، بل حصر معرفة السياسة في قلة متميزة بالفضيلة ولأن الفضيلة عنده هي المعرفة، وطالب بأن يكون تركيز السلطة بيد القلة التي تمتلك تلك المعرفة، وعلى هذا الأساس فإن سقراط هاجم المفهوم الديمقراطي للحكم كما جسدته أثينا لأنه يجعل الحكم من نصيب الأغلبية والذين لا معرفة لديهم حول ما يتعلق بالسياسة، ويبدو أن أعداء الديمقراطية في تزايد كون أن أغلب السفسطائين كان لهم نصيب من النقد[1]، ولهذا فإن العدو اللدود يتجسد بأفلاطون حيث عاصر الحروب التي كانت بين أثينا وأسبرطة ويصادف ذلك مع حدث إعدام أستاذه سقراط.

كان لبعض العقول الجبارة في تاريخ الحضارة الغربية انتقادات لاذعة اتجاه الديمقراطية انتقادات سيكون من الغباء تجاهلها كتب أفلاطون في كتباه الجمهورية أن سقراط كان يجادل حول طبيعة الدول المثالية في مرحلة ما كان يسأل شريكه "أديمانتوس" من كان سيفضله لإدارة مركب عبر البحر، راكب عشوائي أم قبطان متدرب جيدا ومتعلم وذو خبرة؟ وبعد اختبار القبطان كخيار واضح ينقل سقراط هذه الاستعارة إلى مفهوم الدولة[2]، ففي ينظره لماذا نسمح لأي شخص أن يحاول إدارة السفينة أي الدولة، ثم سيتطرق إلى إقتراح النظام الشمولي لإدارة الدولة المثالية.

---

[1]– أحمد طلعت، الوجه الآخر للديمقراطية، الطريق للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990، ص 42.

[2]– محمد سليم غزوي، نظرات حول الديمقراطية، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 2000، ص 09.

على حد رؤى سقراط لابد من تعليم جميع الحكام على الحكم ولعقود قبل أن يأخذ السلطة المطلقة، اعتراضات سقراط على الحكم الديمقراطي يمكن ملاحظتها في أعمال أخرى، حيث أثنى على النظام الملكي الأسبارطي بوصف إدارتها بالجيدة وتحدث في حوارات عديدة عن فيها العدد القليل جدا من الناس الذين يمتلكون تلك الفضائل المؤدية للحكم السليم وكيف أن اقل عدد من الناس قادرون على فهم ذلك[1]، ومما لاشك فيه لم يعتبر سقراط عامة الناس أذكياء بما فيه الكفاية لإدارة أمور الدولة، فالنسبة لسقراط التعليم هو أفضل أمل للديمقراطية.

– الديمقراطية عند أفلاطون: عندما أعدم ديمقراطيو أثينا سقراط أعظم رجل في زمانه، بتهمة إفساد الشباب، رأى تلميذه أفلاطون المشغوف به أن الديمقراطية هي المسؤولة عن موته وكتب في كتاب الجمهورية أن الديمقراطية أسوأ الأنظمة بعد النظام الاستبدادي يبدو حكم أفلاطون على الديمقراطية مجحف لكنه يكشف عن عيبها الجوهري بأنها تمنح الرعاع قولا في الشأن العام لكنه يكشف عن عيبها الجوهري بأنها تمنح الرعاع قولا في الشأن العام وشرح بدقة كيف تنحدر البلاد عندما يقرر مصيرها الرعاع إلى الفوضى والتأخر، وكيف يطالب الناس لاحقا بحاكم قوي لإعادة الأمن والاستقرار للمجتمع[2]، فالأبرز في نظرية أفلاطون أن الحاكم القوي يعيد الاستقرار والأمن لكنه يتحول مع الوقت إلى مستبد لا يقيم وزنا لقانون ولا قيم ولهذا صنف أفلاطون الديمقراطية بأنها نظام مختلف يتقدم فقط على النظام الاستبدادي.

كان أفلاطون يقلل من شأن الجمهور على غرار أستاذه سقراط وكان يفضل الحكم الارستقراطي على الحكم الديمقراطي وقوقهما معا حكم الفرد الفيلسوف، كان أفلاطون يبني هذه المفاضلة على أساس افتقاد الحكم الديمقراطي من وجهة نظره للمقومات التي تجعل منه حاكما عادلا،

---

[1]– ابراهيم أحمد شلبي، تطور الفكر السياسي دراسة تأصيلية لفكرة الديمقراطية في الحضارات القديمة، دار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 92-93.

[2]– ابراهيم أحمد شلبي، تطور الفكر السياسي دراسة تأصيلية لفكرة الديمقراطية في الحضارات القديمة، دار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 94.

بفعل الجهل الذي يسيطر على عقول الرأي في السياسات بصفة عامة نائية عن هذا الجمهور[1]، ولذلك عن أفلاطون إلى إيجاد الوسائل اللازمة لمنع غير الأكفاء من الوصول الى المناصب العامة، كما أدى الى اختيار أحكم الرجال وأفضلهم، وإعدادهم على النحو الذي يضمن أن يكون حكمهم لمصلحة الجميع وليس وفقا لرؤاهم الأنانية الضيقة.

2)– الديمقراطية في العصر الوسيط:

– عند المسيحيين: عند قيام الإمبراطوريات والدول الكبرى مثل الامبراطورية العربية الإسلامية والإمبراطورية الرومانية وحتى الصينية والمغولية والفارسية، قد قضت على الديمقراطية وفرض قيامها، وقد عرفها "القديس توما الإيكويني" باعتبارها مفهوم غير مرغوب فيه بقوله "سلكة شعبية حكم فبيها الناس العاديون بقوة أعدادهم وقمعوا أغنياء فتصرف الشعب كله كأنه طاغية"[2]، إلا أن أفكار أقل تطرقا صدرت عنه عندما قال " يعود إلى الجمهور كله أو إلى الشخص عام يرعى كل الجمهور أن يقيم القوانين"[3]، ومن أفكاره أن للشعب حق مقاومة الحاكم المستبد الذي يتجاوز حدود السلكة وإنه يبغض الحكم الاستبدادي وإن يمارس هذا الحق مجموع الشعب لا طائفة بعينها، وأن لا ينجم عم مقاومة الشعب مساوئ تفوق مساوئ الحكم المستبد.

الدولة هيئة موحدة بتنظيم أفرادها مثلها مثل الجيش يعاون عمل الجندي فيه عمل المجموع دون أن يختلط به، توجد وحدة النظام في الجماعات الحيوانية كالنمل والنحل، ولكنها تصدر فيها عن غريزة أما في الجماعات الإنسانية فهي راجعة إلى العقل والإرادة، وبهذا المعنى تقوم على ضرب من التعاقد، وقد عرف "شيشرون" الجماعة بأنها كثرة منظمة خاضعة لقانون عادل يرتضيه الفرد ابتغاء

[1]– أحمد طلعت الوجه الآخر للديمقراطية، المرجع السابق، ص 43.

[2]– عبد لرحمان بدوي، أفلاطون، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1943، ص64.

[3]– بيرو فيليب، علم الاجتماع السياسي، تر: محمد عرب، المؤسسة العربية لدراسات والنشر بيروت، 1998، ص96.

منفعة مشتركة[1]، والقديس توا الإيكوني يصطنع تعريف شيشرون، لأنه يعتقد بالقانون الطبيعي ويجعل منه الأساس القريب للاجتماع، يستند إلى الأساس البعيد الأول الذي هو القانون الأزلي.

وقد أوجد الله الإنسان مدنيا بالطبع، وحاصلا بالبداهة على مبادئ الأولى للحق والخير وتبعا لهذا التعريف يقرر تومى من جهة واحدة أن كل سلطان فهو أن الله حسب قول القديس بوليس: بمعنى أن الترتيب الطبيعي يقتضي الاجتماع ليس الاستمتاع بل استكمال افرد لطبيعته الإنسانية وتحقيق غايته بما هو إنسان[2]، وهنا تقع على عاتق الدولة مساعدته على ذلك فيما تستطيعه ويفوق طاقته الخاصة أما من الناحية الخلقية والدينية فمهمة الكنيسة أولا وبالذات، فتكون الدول خاصة للكنيسة بقدر الخضوع الغاية الزمنية للغاية الأبدية.

– الديمقراطية عند اليهود: إلى الجانب تمييز "موسى بن ميمون " في النواحي الطبية، والدينية والفلسفية لم يكن الحبر اليهودي الفيلسوف أقل تميزا في الناحية السياسية، تشير بعض الدراسات أن الصلة التي جمعت بين "ابن ميمون" و"صلاح الدين الأيوبي" ووزيره القاضي الفاضل، لا ترجع فقط إلى تقدير السلطان الأيوبي ووزيره لمعرفتهما بمدى مهارته وحذفه، وحنكته السياسية، فهذا الأخير كان يستفيد من مهارته ابن ميمون من لطف التدبير عن اليهود اليمنيين في تهدئة الثورات التي كانت تنشب في تلك البلاد[3]، أيضا استخدم ابن ميمون نفوذه في بلاط السلطان لحماية يهود مصر، وعلاوة على ذلك عندما فتح صلاح الدين فلسطين اقنعه ابن ميمون بالسماح لليهود في الإقامة فيها من جديد.

---

[1]– بيرو فيليب، علم الاجتماع السياسي، تر: محمد عرب، المؤسسة العربية لدراسات والنشر بيروت، 1998، ص 96.

[2]– بيرو فيليب، علم الاجتماع السياسي المرجع السابق، ص97.

[3]– فاطمة نادي، موسى ابن ميمون، أن تكون يهوديا في دولة الخلافة الإسلامية، 14:00، 2018/09/19.
https://www.sasapost.com

- **الديمقراطية في الإسلام**: تنظم العديد من النصوص الشرعية القرآن والسنة أوجه نظام الحكم، ورغم وجود عدة اختلافات بين مداريس الفكر الإسلامية، إلا أن الخطوط العريضة تتلخص في ركيزتين أساسيتين هما:

1- **البيعة**: تنقسم إلى بيعة خاصة وهي أن يقوم أهل الحل والعقد من العلماء والفضلاء ووجوه الناس بمبايعة ولي الأمر على السمع والطاعة ما لم تكن في معصية[1].

ثم تكون البيعة العامة والتي يبايع فيها جميع أفراد المجتمع حيث يبايع الرجال بالمصافحة والنساء بالقول، وهناك العديد من الآيات والأحاديث التي ذكرت البيعة كقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا(18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19)**﴾[2]، وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[3].

2- **في الشورى**: ذكرت الشورى في القرآن الكريم: ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[4]، يتفق أغلب المفسرين أن هذه الآية توصي المسلمين بالتشاور قبل اتخاذ أي قرارات ما لم تتعلق بأحكام الشريعة، ولم تحدد الآية شروط للمشاركين في المشورة إلا أنها أمرت بها كطريقة لصنع القرار[5].

3- **ابن رشد والديمقراطية**: كان ابن رشد حلقة وصل بين الحضارتين الأندلسية واليونانية، وذلك عن تلخيصه لمفاهيم أرسطو بشكل أوسع يتماشى مع أهل زمانه، وما يميز ذلك الاتصال الذي قام

---

[1]- فردوس الموسوي الإسلام والديمقراطية دراسة تحليلية للتعامل الإسلام مع النظام الديمقراطي مقال على موقع www.cdhrad.net، 2004/03/23.

[2]- سورة الفتح، الآية 18-19.

[3]- رواه مسلم حديث رقم 1851.

[4]- فردوس الموسوي الإسلام والديمقراطية، المرجع السابق.

[5]-سورة الشورى، الآية 38.

به هو جمعه ما بين الشريعة والحكمة، فلشريعة وهو الأمور الخاصة فيما جاء في الإسلام والفقه الديني، والحكمة هو ما جمعه من مفاهيم جاءت في العلوم المختلفة كالرياضيات والطب، وكان يجمع ابن رشد بين ما كان يتواصل بينهم ويأخذ قنطرة بينهم جميعا[1]، وهو ما يميزه مع العديد من الفلاسفة المسلمين في العصور الوسطى.

اهتم ابن رشد بإصلاح الفكر السياسي ولم يرق إليه اليأس والتشاؤم الذي انتاب أفلاطون في تحقيق المدينة الفضلة على الأرض، وقد رأى أن تحقيق هذه المدينة الفاضلة ممكن في السماء والأرض، بينما رأى ابن رشد أن المدينة الفاضلة ممكنة على الأرض، رغم ما كان يسود المجتمع الذي كان يعيش فيه من تسلط واستبداد فقد كان ابن رشد ينشد التقدم والاصلاح في مجال العقيدة الدينية والعلم والفلسفة والأخلاق، معتمدا في ذلك على مبادئ الشريعة السمحة[2]، وهو ما يميزه مع العديد من الفلاسفة المسلمين في العصور الوسطى ومؤكدا أن الحاكمين والمحكومين إذا ساروا على الشريعة الإسلامية والتزموا بآدابها سينجحون حتما في تكوين المدينة الفاضلة على أرض الواقع.

إن جهود ابن رشد في إصلاح الفكر لسياسي قد احتاج فيها الى مجهودات شاقة ووقفة متأنية لمعرفة فكرره السياسي، حيث كانت له رؤية متميزة ساهم بها في معالجة قضايا ومشكلات عصره الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادي فاستحق لوقوف عندها لدراستها، مشكلة البحث، تعتبر السياسة المسألة الحيوية لدى كافة الشعوب، ففي الوقت التي تعاني فيه بعض المجتمعات الفوضى وعدم الاستقرار في غياب نظام السياسي عادل ينظم حياة الأفراد وعلاقاتهم[3]، فكان لابد من البحث عن الأفكار الجديدة من أجل استقرار المجتمعات، لذا جاء هذا البحث لتعرف على جهود ابن رشد في الإصلاح السياسي واستناط أفكار جديدة تناسب واقع وبيئة مجتمعنا.

---

[1]– فردوس الموسوي الإسلام والديمقراطية، المرجع السابق.

[2]– ظاهر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، دار النقاش، ط3، بيروت، 1980، ص65.

[3]– علي محمد لاغا، الشورى والديمقراطية بحث مقارن في الأسس والمنطلقات النظرية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع(ط1)، 1983، ص125.

3- الديمقراطية في العصر الحديث:

أ- **مونتسكيو**: يرى مونتسكيو أن هناك ثلاثة أنواع من الحكومات الجمهورية والتي يمكن أن تتخذ أشكالا من ديمقراطية أو أرستقراطية والملكيات والاستبداد، وعلى عكس أرسطو على سبيل المثال لا يميز مونتسكيو بين أشكال الحكم على أساس فضيلة الحاكم والتمييز بين الملكية والاستبداد فعلى سبيل المثال لا يعتمد على فضيلة الملك ولكن على ما إذا كان يحكم بقوانين ثابتة وراسخة[1]، ولكل شكل من أشكال الحكومة مبدأ ومجموعة من الشاعر البشرية التي تحركه ويمكن أن يفسد كل منهما إذا تم تفويض مبدأه أو تدميره.

في الديمقراطية الشعب هو صاحب السيادة وقد يحكمون من خلال وزراء أو أن يتلقوا المشورة من قبل مجلس الشيوخ ولكن يجب أن يتمتعوا بسلط اختيار الوزراء وأعضاء مجلس الشيوخ لأنفسهم، ومبدأ الديمقراطية هو الفضيلة السياسية التي تعني بها مونتسكيو، "حب القوانين" وحب بلدنا بما في ذلك دستورها الديمقراطي، شكل الحكومة الديمقراطية يجعل القوانين الي تحكم الاقتراع والتصويت أساسية [2]، ومع ذلك فإن الحاجة إلى حماية مبداها تفرض متطلبات أكثر شمولا.

من ناحية أخرى يرى مونتسكيو أنه يمكن إفساد الديمقراطيات بطريقتين من خلال ما سماه "روح عدم المساواة" و"روح المساواة القصوى " وتنشأ روح عدم المساواة عندما لا يعود المواطنون يقرأون مصالحهم الخاصة على حساب مواطنيهم والحصول على سلطة سياسية عليهم، كما تنشأ روح المساواة المتطرفة عندما لا يعود الناس راضيين عن المساواة كمواطنين[3] ولكنهم يردون أن يكونوا متساويين في جميع النواحي.

---

[1]- علي محمد لاغا، الشورى والديمقراطية بحث مقارن في الأسس والمنطلقات، ص126.

[2]- محمد بو الروايح، هل نحن في حاجة إلى ديمقراطية مونتيسكيو، https://www.echoroukonline.com. .2020/08/25

[3]- عبد الله بلعزيز، الديمقراطية من دون الفصل السلطات، 02 يونيو2021، 08:24، www.skynewsatabia.com

ومن جهة نظر مونتيسكيو فإن الفضيلة التي تتطلبها ديمقراطية فاعلة وليست طبيعية، ويتطلب تفضيلا دائما لمصلحة العامة على الخاصة حيث أنها تقتصر الطموح على الرغبة الوحيدة والسعادة الوحيدة في تقديم خدمات أكبر للبلد مقارنة ببقية المواطنين ، وهو انكار للذات وهو أمر شاق ومؤلم على الدوام، ويقارن مونتسكيو ذلك يجب الرهبان لتربيتهم أي إن حكمهم يحرمهم من كل تلك الأشياء التي تغذي بها المشاعر العادية لذلك يبقى فقط هذا الشغف بالقاعدة ذاتها التي تعذبهم بالميول[1]، وكلما زادت القوة التي يعطيها للشغف الوحيد الذي تركهم ولإنتاج هذا نبذ الذات غير الطبيعي هو القوة الكاملة للتعليم مطلوبة.

ب-**الديمقراطية عند جان جاك روسو**: جان جاك روسو من المفكرين الأحرار الأفذاذ، دعاة الحق والعدالة وانتصار الحرية والمساواة والتآخي بين الشعوب، يتوخى روسو إرساء أسس الحياة السليمة التي تبنى عليها الأوضاع الاجتماعية في أي مجتمع ويستند في ذلك إلى قضية لا تخلو من خطورة وأهمية، إذ يرى أننا لا نستطيع أن نحدد طبيعة المجتمع إلا إذا تعمقنا في نظمه السياسية، فكانت تستشف الشعب من طبيعة نظام الحكم الذي ارتضاه ، والتجربة التاريخية لا تعني روسو بقدر ما يعنيه إرساء الأساس الأخلاقي الراسخ للحياة الإنسانية[2]، وهنا يمكننا أن نربط بين موقف روسو من الحق وبين كانط من الواجب، فالواجب لذاته هو غاية الفعل الأخلاقي.

تختلف التفسيرات حول مضمون الديمقراطية ووسائل تطبيقها، فيذهب الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو إلى القول بأن "رصيد الديمقراطية " الحقيقي ليس في صناديق الانتخابات فحسب، بل في وعي الناس بمعنى الديمقراطي ليست قواعد دستورية وتشريعية فقط إنما هي في الأساس ثقافة

[1]- عبد الله بلعزيز، الديمقراطية من دون الفصل السلطات، 02 يونيو 2021، 08:24، www.skynewsatabia.com

[2]- محمد بو الروايح، هل نحن في حاجة إلى ديمقراطية مونتيسكيو، مرجع سابق.

وممارسة وحين اختيار، فمن لا يعرف معنى الديمقراطية وقيمتها لن يكون قادرا على ممارستها[1]، وإن ممارستها فتكون إما خاطئة أو مشوهة.

كل قانون لم يقره الشعب بنسه هو باطل ولاغي ، وهو في الواقع ليس بقانون، بهذه الكلمات التي كتبها جان جاك روسو الذي يعتبر من أهم المفكرين في كتابه العقد الاجتماعي الذي يعتبر كتابا تقدميا الذي ساعد في الإصلاحات السياسية، والثورات في أوروبا خصوصا الثورة الفرنسية، في الكتاب جادل جان جاك روسو إن الملوك ليس لهم سلطة مقدسة في التشريع والحكم[2]، أي أن الشعب فقط من له كل الحق في السلطة، إن السلطة الممنوحة للشعب لا تكون بشكل عشوائي، أو فوضوي بل عن طريق إتفاق الأفراد على أن يخضعوا رأيهم وحقوقهم وسلطاتهم لحاجات ورأي مجتمعهم ككل.

يعتمد العقد الاجتماعي على وجود اتفاق أو عقد صريح أو ضمني بين الشعوب وحكامها إذ يتخلى الشعب عن جزء من حريته وأملاكه في مقابل الحماية التي يوفرها له الحاكم، والذي يعمل على تشريع وفرض القوانين التي تحكم بما تقتضي المصلحة العامة، أي حاكم يحصل على سلطته بالقوة، سواء عن طريق غزو البلاد أو الحروب، فهي سلطة مشكوك في شرعيتها[3]، فلا يمكن لهذا العقد أن يستند إل أي سلطة طبيعية كسلطة الأب في الأسرة مثلا.

الديمقراطية في الفترة المعاصرة:

1- **جون ستيوارت ميل:** إن مفهومي الحرية والسياسية ولاستقلالية الفردية يرتبطان ارتباط وثيق باسم أهم المفكرين جون ستيوارت ميل، بحيث لا تذكر الليبيرالية ألا ويذكر اسمه معها، وعلى الرغم من أن الحرية مصطلح استخدم منذ أزمنة بعيد إلا أن "ميل" هو الذي طور مفهوم الحرية من المعنى

[1]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي تر: ذو قانون قرقوط، دار القلم بيروت لبنان، 1979، ص43.

[2]- المرجع نفسه، ص46.

[3]- مقلد صبرين، نظريات السياسة الدولية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1987، ص36.

المحدود والمباشر من التحرر من العبودية الجسدية الى مفهوم المتداول وهو الحرية السياسية والاجتماعية[1].

كان توكتفيل أول من نبه إلى مشكلة طغيان الأغلبية وذلك في كتابه الديمقراطية في أمريكا وهي التي تميل إلى فرض رأيها على الأقلية ومن ثم على الفرد فتشكل تهديدا خطيرا للحرية، إن الأغلبية التي يحذر منها كل من دي "توكتفيل" و"ميل" ليست بالضرورة أغلبية عديدة بل إنها في الغالب المجموعة الأكثر إيجابي في المجتمع أو الأكثر نفوذا فيه، وطغيانها، ينظرهما، أشد وطأة على الأفراد والأقليات من طغيان الحاكم على الأفراد[2]، فعندما يصبح المجتمع بمثابة الطاغية الذي يقيد حرية فراده ويتحكم في قراراتهم السياسية والشخصية.

ينادي ستوارت ميل بديمقراطية قوية تشكل ثقلا مضادا مفرطة التمدد والتدخل، وحدها الديمقراطية قادرة على مقاومة البيروقراطية أفكار ستورات ميل في هذا المجال مشابهة لم سيقوله ماكس فيبير أوائل القرن التالي، حسب ميل، واتفاقا مع رأي الليبيرالي السائد، لا مكان اليوم لنظرية المدينة اليونانية القديمة، بحيث أن مفاهيم الحكم الذاتي أو حكم المجالس المفتوحة غير قابلة للتطبيق في المجتمع يتجاوز حجمه مدينة صغيرة[3]، ومنه لا يمكن للأفراد أن يشاركوا أولا في جزء صغير من الشؤون العامة.

2- **يورغن هابرماس**: إن محاولة هابرماس متمركزة حول تحرير الفكر والفعل السياسي من الخطاب المتمركز حول الذات أو الفلسفة الوعي، أي أنه عمل على نقد محمل، النظريات التي تجعل أساس الفعل السياسي أو الاجتماعي مرتبطا باذات ووعي الفرد والمأخوذ بشكل معزول، وربط هذا الفعل

---

[1]- مقلد صبرين، نظريات السياسة الدولية، المرجع السابق، ص37.

[2]- علي حسن جون ستوارت ميل، اللحظة السقراطية بين الحرية والديمقراطية، 10 أغسطس 2021، http://www.qqlamalfekr.net

[3]- علي حسن جون ستوارت ميل، اللحظة السقراطية بين الحرية والديمقراطية، 10 أغسطس 2021، http://www.qqlamalfekr.net

بالوعي لمشترك ليصبح مجال الفعل السياسي هو مجال بينذاتي intersubjctif، كما سيجعل منه فعلا أخلاقي، ولذلك سوف يقرن مسألة الديمقراطية بالأخلاق التواصلية، منتقلا بذلك من العقلانية الأدائية إلى العقلانية التواصلية[1]، فالعقل التواصلي هو الذي يحدد له العلاقات الاجتماعية داخل فضاءات عمومية قائمة على المناقشة.

أي أن هذا التحول يهدف إلى تحقيق التفاهم بين الأشخاص المتحاورين عكس الفعل الأدائي الغائي، فهو فعل يهدف إلى تحقيق غاية أو مصلحة محددة ويتجه نحو التأثير على الطرف المقابل، وهذا ما يكشف عن جانب الإكراه أو الإغراء الذي يمارسه هذا الفعل على الطرف الآخر، في حين يقوم الفعل التواصلي على التفاهم والإتفاق المؤسس بشكل عقلاني داخل فضاء عمومي فحينما يربط هابرماس بين الديمقراطية ونظرية المناقشة، فهو بهذا يؤسس المبدأ المناقشة السياسية[2]، أي كمبدأ ديمقراطي يحقق تشريعا متوافقا عليه من قبل الجميع هذا التوافق يحدد مرجعيته في الفضاء العمومي في مجال للحرية أو الديمومة الذي تصبح فيه الحياة العامة مشتركة بين الجميع.

فالديمقراطية تجد شرطها النهائي في منطق النشاط التواصلي الذي تعمل التداوليات الكلية على إعادة بنائه ومن وجهه نظره التداولية فإن تطور التمثلات والمعايير والأشكال المشروعية تخضع لمنق له استقلاله الذاتي، ذلك أن هذا الاستقلال الذاتي هو الذي يوفر شروط مكان الديمقراطية، ونجد أن هابرماس يكشف عن هذه العلاقة التي تربط الديمقراطية بأخلاقيات المناقشة في العديد من مؤلفاته[3]، وقد أكد في كتابه التقنية والعلم كإيديولوجيا أن النموذج المرغوب فيه للديمقراطية هو الذي يمكن كل المواطنين من التعبير عن أفكارهم وانتمائهم الثقافي والمعرفي.

---

[1]- حسني عايش، لافتات الديمقراطية، 11:04، 2020/05/03، http://alghad.com

[2]- حيوح فوزية، الديمقراطية التشاورية عند يورغن هابرماس، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

[3]- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس ، الأخلاق والتواصل،دار التنوير، 2009، ص188.

إن العلاقة بين أخلاقيات المناقشة والممارسة الديمقراطية تستند على المفاهيم معيارية، هذه المفاهيم أكثر قوة من ذلك النموذج الليبيرالي الذي تقوم نظرته على سلطة الدولة المنبثقة من الشعب ولا تستطيع أن تمارس سلطتها إلا في ظل دولة القانون التي تقوم على الانتخابات أو الاستفتاء يتبين إذن أن "هابرماس" يتخذ موقفا نقديا إزاء الانموذج الليبيرالي الذي تقوم نظرته على سلطة الدولة المنبثقة من الشعب[1]، فيجعل من الدولة مجرد أداة لخدمة الشعب أو المصلحة العامة، وتحصرها في جهاز ضيقا هو الإدارة العمومية، التي تكون مقابل المجتمع كنسق من العلاقات بين الأفراد.

ينتقدها هابرماس الأنموذج الجمهوري لكونه ينطلق من جعل الممارسة تهدف لتخليق العلاقات بين المواطنين داخل الدولة باعتبارهم مواطنين أحرار متساويين فيما بينهم، وبالتالي فهذا الأنموذج يختزل التفاهم والتوافق في البعد الأخلاقي فقط، ويجعله ذا بعد قطري يرتبط فقط بالهوية الجماعية المشتركة ولمتفق عليها، ويقترح في المقابل مبدأ المناقشة كأساس للمبدأ الديمقراطي[2]، من هنا تأتي نظريته في الديمقراطية التشاورية او التداولية كبديل للنظرتين الليبيرالية التي تنظر إلى العملية السياسية كمسار تفاوض بين المصالح الشخصية وعليها والجمهورية التي تطلب ضد هذا الاختزال الذري للسياسة برؤية جماعية للعملية السياسية.

ليوضح هابرماس أن النموذج الديمقراطية التشاورية والتداولية « Deliborative Democracy » يجد أساسه المناقشة (الحوار) على اعتبار أن نظريته المناقشة تمكننا من تحديد بشروط التواصل الذي يسهم في التكوين والتشكيل الجماعي للرأي العام والارادة العامة التي تكون نتاجا لحوار بينذاتي مؤسس على افتراضات تواصلية سابقة على وعي الافراد ورغباتهم، وتطغى عليها

[1]- يورغن هابرماس، التقنية والعلم كإيديلوجيا، تر: إلياس حجوج منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1999، ص 78.

[1]- يورغن هابرماس، التقنية والعلم كإيولوجيا، مرجع سابق، ص 78.

صفة الشرعية: هذه الشرعية التي لا ترتبط بما تتوصل إليه جماعة بعينها[1]، لأن المناقشة أو الحوار المؤسس لها ذو طابع كوني.

[1]- مرجع نفسه، ص 77.

المبحث الثالث: ما بين الديمقراطية الليبيرالية والديمقراطية الاشتراكية.

يستخدم المصطلح الاشتراكية والليبيرالية كثيرا في الوقت الحاضر، وكثير من الناس غالبا ما يخطئ أحدهما للآخر، من أجل التفريق بين هذين المصطلحين يجب أن نأخذ في الاعتبار الاختلافات الواضحة من خلال تعريف الإيديولوجية السائدة لكل مصطلح، فما المقصود بالليبيرالية والاشتراكية؟

تؤكد مبادئ الاشتراكية أن الدولة يجب أن تمارس القوى الاقتصادية الكلية من خلال التلاعب بأسعار السلع وأجور العمال، وعلاوة على ذلك تتطلب الاشتراكية أن يقدم الناس إلى سيادة القانون، في مقابل امتثالهم، يتم تزويد المواطنين بالمواد التي ترتكز عليها الحكومة، من ناحية أخرى الليبيرالية الكلاسيكية على أن الحكومة يجب أن تسيطر على مؤسسة من اجل ضمان أنها لا تزال خدمة للشعب مجانا[1]، أي أن الليبيرالية الكلاسيكية لا ترى أي حاجة إلى قيام الحكومة بإنقاذ القانون والنظام وإخضاع مواطنيها تحت حكم القانون والنظام الحديدي.

تؤكد الليبيرالية الحديثة أنه بالإضافة إلى ضمان الأمن الاقتصادي والسياسي فإن من واجب الحكومة التدخل في شؤون الناس اليومية من أجل الحفاظ على الأمن الاجتماعي إن الليبيرالية الحديثة في الواقع يمكن مقارنتها بالاشتراكية، حيث يؤكد كلاهما أن الحكومة تستطيع رفع مواطنيها بشكل فعال ليس فقط من خلال السيطرة على الاقتصاد أو المؤسسات الخاصة، ولكن أيضا من خلال مراقبة دقيقة للمواطنين لضمان عدم منها تصبح تخريبية[2]، كثير من السياسيين في العصر الحديث كانوا يدعمون الليبيرالية الحديثة لأنهم يعتقدون أن الحكومة يمكن أن تحل جميع المشاكل بمجرد منها السلطة الكاملة.

---

[1]– علي الدين هلال، مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث في أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص 26.

[2]– علي الدين هلال، مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث في أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص 27.

ويشير هؤلاء السياسيون إلى عدم المساواة بين الطبقات المختلفة في المجتمع ويقترحون إصلاحات تبدو في البداية لصالح الفقراء والمهمشين، ولكنها في النهاية تمنح الحكومة سببا لتوسيع صلاحياتها للحد من المصالح الخاصة، وعلى الرغم من أن الليبيراليين يبدو أنهم يدعون إلى إجراء إصلاحات لتحسين سياسة الحكومة، إلا أنهم لا يزالون يتبنون نفس الهيكل السياسي القديم لتعزيز طموحاتهم[1]، من ناحية أخرى قد عرف الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت بنفسه الليبرالية بأنها: "إنقاذ النعمة للمحافظ بعيد النظر"، وقال أيضا: "إصلاح ما تريد الحفاظ عليه".

يعتقد الرأسماليون ومؤيدوا الديمقراطية أن الاشتراكية والليبرالية الحديثة تضرب التقدم الاقتصادي، ونظر لأن أسعار السلع وأجور العمال تخضع لسيطرة الحكومة مباشرة، فإن الشركات والمؤسسات المملوكة للقطاع الخاص لا يمكن أن تزدهر في ظل حكومة اشتراكية أو ليبرالية حديثة، كما أن الناس الذين يقدرون حرية التعبير وحقوق الإنسان يعارضون الاشتراكية والليبرالية الحديثة لأنهم يعتقدون أن مثل هذه الإيديولوجيات تحد من حق المواطن في اختيار المنتجات التي يشتريها، أو ما هي الوظيفة التي يجب أن يتخذها، أو ما يعتنقه المعتقد الديني[2]، على الرغم من أن الليبرالية الحديثة هي أكثر خفية ورهانة من الاشتراكية، إلا أنها لا تزال في نهاية المطاف تعطي الكثير من السلطة للحكومة في ظل الأمن الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

الاشتراكية ترى فقط أم من خلال منح الدولة السلطة الاقتصادية والسياسية الكاملة يمكن تحقيق التقدم الاقتصادي والمساواة بين المواطنين بينما ترى الليبرالية أن الدولة يجب أن تتولى فقط مؤسسة لضمان استفادة المواطنين بحرية من خدمات تلك المؤسسة الخاصة فالليبرالية لا تتطلب التطبيق الشامل للقانون والنظام من أجل تحقيق التقدم الاقتصادي والمساواة، وترى أن الدولة يجب أن تتدخل ليس فقط في الشؤون الاقتصادية أو السياسية، ولكن أيضا في الشؤون الاجتماعية مثل

[1]- أحمد صابر حوحو، مبادئ ومعوقات الديمقراطية مجلة الفكر، العدد 05، ص 32.

[2]- المرجع نفسه، ص 34.

الأنشطة اليومية لمواطنيها[1]، وفي الواقع تتوقف الليبرالية الحديثة عن الارتباط بالليبرالية الكلاسيكية، وتصبح بدلا من ذلك مشابهة للاشتراكية.

الديمقراطية الليبرالية أو الديمقراطية الدستورية، هو الشكل السائد للديمقراطية في القرن الحادي والعشرين، ومصطلح الليبرالية في الديمقراطية الليبرالية يشير إلى الليبرالية السياسية، ومن سمات هذا النوع من الديمقراطية وجود حماية لحقوق فلاسفة عصر التنوير والذين تبنوا فكر العقد الاجتماعي مثل توماس هوبر، وجون لوك وتتبع حماية حقوق الأفراد في الديمقراطية الليبرالية التي تضمنها في الدستور ولذلك تسمى أيضا بـ الديمقراطية الدستورية[2]، واليوم نشهد العديد من الأحزاب في الغرب حاكمة لشكل حكومة الديمقراطية الليبرالية.

وتتم عادة مقارنة الديمقراطية الليبرالية (الدستورية) بالديمقراطية المباشرة direct democracy الديمقراطية التساهمية particoparoty democracy ، وهناك نواحي فنية تختلف فيها الديمقراطيات الليبرالية فقد يكون النظام جمهور، كما في الولايات المتحدة وفرنسا والهند، أو ملكية دستورية كما في الولايات المتحدة واليابان وإسبانيا وكندا، فمثلا في المملكة المتحدة صاحب السيادة الرمزية هو الملك الوراثي وبكن صاحب السيادة الفعلية (التشريعية) هو الشعب من خلال نوابهم المنتخبين في البرلمان[3]، ورغم أن جوانب من حياة المجتمع لا تعتبر من ضمن نظام الحكم إلا أنها في تعريف الديمقراطية الليبرالية إدخال هذه الجوانب ضمن التعريف أيضا.

الدستور الديمقراطي الليبرالي يعرف الميزة الديمقراطية للدولة، وفي التقليد السياسي الأمريكي فإن الهدف من الدستور عادة ما يرى على أنها قد تحد من سلطة الحكومة والفكرة الأمريكية الخاصة بالديمقراطية الليبرالية متأثرة بهذه الرؤية، فهم يركزون على فصل السلطات واستقلالية القضاء ونظام

[1]– موسوعة الهلال الإشتراكية، تح: إبراهيم عامر وآخرون، مطابع دار الهلال، يوليو، 1968، ص 227.

[2]– صالح جواد كاظم، الأنظمة السياسية، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1991، ص 20.

[3]– أحمد صابر حوحو، مبادئ ومعوقات الديمقراطية، مرجع سابق، ص 221.

من القيود والموزونات بين فروع الحكومة، أما الليبرالية الدستورية الأوروبية فتركز أكثر على سيادة القانون رغم أنها تتضمن شكلا محددا من الدولة أو النظام[1].

وتعرف الديمقراطية الليبرالية كذلك بالحق الدوري للاقتراع أو منح كل المواطنين الحق في الاقتراع بغض النظر عن الفوارق في العرق أو الجنس أو الملكية الخاصة، ولكن عالمية هذا الحق رغم ذلك نسبية، فالعديد من الدول التي تعد ديمقراطية تجد فيها ممارسات تشتمل على أشكال متعددة من الحرمان من حق الاقتراع أو من طلب المؤهلات إضافية لنيل الحق المذكور (عدا عن كون الفرد مواطنا)، كإجراءات التسجيل لكي يتمكن المواطن من التصويت[2]، فالحق في التصويت محصور بمن يبلغ سن معينة وعادة ما تكون 18 عاما وعلى كل حال فالقرارات المتخذة عبر الانتخابات لا يتخذها كل المواطنين بل يتخذها من يختار الاشتراك في التصويت.

الحريات الليبرالية المعيار الأكثر استخداما بالنسبة للديمقراطية يتخذ شكل الحقوق والحريات، وهي تعتبر أساسية لعمل الديمقراطية الليبرالية رغم أنها اكتسبت أهمية في تعريفها إلى درجة تدفع الكثير من الناس لكي يعتقدوا بأنها هي الديمقراطية وبما أنها لا توجد دولة تريد أن تعترف بأنها ليست حرة، وبما أن مناصري تلك الدولة سيصفون أعدائه بأنها حكومات طاغية فلابد والحال هذه محذوف الخلافات[3]، والحريات الليبرالية تشمل أمور من قبيل الحق في الحياة والسلامة الشخصية والتحرر من العبودية وحرية التنقل والمساواة أمام القانون وأن تأخذ العدالة مجراه في ظل سيادة القانون.

وهي عادة ما ترى على أنها الحريات الليبرالية مرتبطة مع الحريات المذكورة آنفا رغم أن هذا الطرح محل جدل كبير، تتميز ممارسات الأنظمة الديمقراطية بسمة وجود قيود على حريات معينة، فهناك قيود قانونية متنوعة مثل قوانين حقوق الطباعة والقوانين الخاصة بالتشهير، وقد تكون هنا

---

[1]- غاني بودبور، إشكالية الديمقراطية في الجزائر، وموقف النخبة السياسية منه، دراسة حالة بالمجلس الشعبي الوطني، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2005/2004، ص 26.

[2]- مرجع نفسه، ص 27.

[3]- موسوعة الهلال الاشتراكية، تح: إبراهيم عامر: مرجع سابق، ص 229.

حدود لكلام المعادي للديمقراطية، وكذلك على محاولات تفويض حقوق الإنسان، وعلى تعزيز أو تبرير الإرهاب، ففي الولايات المتحدة الأمريكية تم تطبيق مثل هذه القيود خلال حقبة الحرب الباردة على الشيوعيين، أكثر مما تم تطبيقها في أوروبا[1]، وقد شاع الآن تطبيق هذه القيود على بعض المنظمات الإسلامية التي يرى على أنها تدعم الإرهاب أو المنظمات الخاصة ببعض الجماعات.

التبرير الشائع لهذه القيود هو القول بأنها ضرورية لضمان بقاء الديمقراطية أو لبقاء الحريات إنما هو تقويض لحق الحياة وضمان على السلامة الشخصية، والآراء تختلف حول المدى الذي يتعين أن تصل إليها الديمقراطية حتى تشمل أيضا أعداد الديمقراطية في العملية الديمقراطية، وإذا تم استثناء عدد قليل نسبيا من الناس من هذه الحريات[2]، هذه الأسباب يمكن أن يرى البلد على أنها ما زال ديمقراطيا ليبراليا.

بينما يعتقد البعض بأن النظام الديمقراطي حينها لن يختلف من الناحية النوعية كثيرا في يتلك الحالة عن الأنظمة الأوتوقراطية التي تقمع معارضيها، بل سيختلف أيضا عنها من الناحية الكيمة سيما وأن عددا قليلا من الناس سيتأثرون وستكون القيود أقل قساوة، ويؤدي الآخرون بأن الديمقراطيات تختلف أيضا، فعلى الأقل من الناحية النظرية فحتى المعادون للديمقراطية يتمتعون بالعدالة القضائية في ظل سيادة القانون، مبدئيا تتيح الديمقراطيات الانتقاد وتغيير القادة والنظام السياسي والاقتصادي بحد ذاتها والمحظور في هذا النظام هو المحاولات الرامية إلى إحداث هذه التغييرات باللجوء إلى العنف.

الدعم العربي للديمقراطية مرهون على الدوام تقريبا بوجوب دعم سياسة اقتصاد السوق، فكلا الأمرين بنظر الغرب ملتزمين لا يمكن فصلها عن بعض رغم كون ذلك رؤية محدودة الناحتين الجغرافية

[1]– موسوعة الهلال الاشتراكية، تح: إبراهيم عامر: مرجع سابق، ص 229.

[2]– عدنان عويد، الديمقراطية بين الفكر والممارسة في الوطن العربي، أنموذجا دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص ص 09-10.

والتاريخية، فالصين التي ليست ديمقراطية ليبرالية يشمل اقتصادها على عناصر من اقتصاد السوق، ويعتقد الكثير من مؤيدي سياسات اقتصاد السوق بأن ظهور الرأسمالية يأتي قبل ظهور الديمقراطية وهو ما يدفع ببعض المنظرين إلى الاستنتاج بأن هناك سلسلة تفاعلات تاريخية على الأرض وبأن اقتصاديات السوق ليست شرطا مسبقا لظهور الديمقراطية فحسب، بل سيضمن في النهاية الانتقال نحو الديمقراطية في بلدان مثل الصين[1]، ولكن مع ذلك يعتقد الكثير من الماركسيين والاشتراكيين بأن الرأسمالية في أفضل حالاتها لا علاقة لها بالديمقراطية وفي أفضل الأحوال تناقض الديمقراطية.

في بريطانيا فإن الليبرالية الديمقراطية بدأت تتبلور من العام 1688 من خلال تثبيت مبدأ سيطرة البرلمان (بدلا من الملك) على الحكم، وقد شرع البرلمان البريطاني قانونا يقول أن الضرائب المفروضة لها صلاحية لمدة سنة واحدة وأن البرلمان هو المخول لإعادة فرضها أو عدم ذلك، كما أن المعارضة يتم تنظيمها داخل البرلمان، لأن المعارضة تشكل حكومة ظل على الاستعداد للإمساك بزمام الأمور في حال فشل الحكومة البرلمانية المنتخبة، وبهذا فغن الممارسة الإدارية هذه حررت المجتمع البريطاني من ظلم الملوك[2]، ثم إن الليبرالية البريطانية عززت مفهوم حرية التعبير عن الرأي والصحافة والتجمع السياسي.

2) الديمقراطية الاشتراكية:

الديمقراطية الاشتراكية أو (الديمقراطية الاجتماعية) هي إيديولوجية سياسية تدعو إلى تدخل اقتصادي واجتماعي من قبل الحكومة لترسيخ العدالة الاجتماعية ضمن إطار النظام الرأسمالي، صياغة سياسات للدفع باتجاه الدولة للوفاء، ترتيب المفاوضة المشتركة، تنظيم الاقتصاد بما يخدم المصلحة العامة، إعادة توزيع المداخيل والثروات، والالتزام بالديمقراطية التمثيلية، تبنى الديمقراطية الاشتراكية

[1]– عدنان عويد، الديمقراطية بين الفكر والممارسة، مرجع سابق، ص 46.

[2]– سعاد الشرقاوي، النظم السياسية في العالم المعاصر، جامعة القاهرة، 2007، ص 132.

بنظام الاقتصاد المختلط واقتصاد السوق الاجتماعي[1]، وتهدف هذه الديمقراطية لتحسين حالات المساواة والديمقراطية والتضامن المجتمعي الرأسمالي وتوفير العيش الكريم والمساهمة في الإبداع والابتكار.

إن الديمقراطية الاشتراكية نظام سياسي كما هو الحال في الديمقراطية السوفياتية، أو نظام لتنظيم الأحزاب السياسية مثل (المركزية الديمقراطية) أو شكل من أشكال الديمقراطية، التي تتبناها الأحزاب أو الجماعات السياسية التي تدعم (الماركسية اللينينية) حول الحزب الواحد (جمهورية يوغوسلافيا 1945 حتى 1992) لقد وضعت لنفسها ديمقراطية اشتراكية، كما فصلت (جمهورية بلغاريا الشعبية 1946-1990)، (وجمهورية رومانيا الاشتراكية 1947-1989)[2]، إن الديمقراطية الاشتراكية هي شكل من أشكال الديمقراطية في الكثير من الحالات يتم اختيار المرشحين للمنصب من حزب سياسي واحد فقط.

يعود أصل الديمقراطية الاشتراكية إلى ستينات القرن الـ 19، مع ظهور أول منظمة اشتراكية من هذا النوع في ألمانيا الرابطة العامة للعمال الألمان، التي قادها (فرديناند لاسال) بنظريات (ماركس وانجلز) لكن سياسته كانت إصلاحية وانتخابية بشكل أساسي، حيث نشرت صحيفة الجمعية تحت اسم الاشتراكي، ضمت الرابطة بعض الاشتراكيين والماركسيين[3]، الذي بين الجناح الماركسي، الذي عارض بشدة هذه المواقف واتجاهات، انشق ليبكنخت وبيل جنبا إلى جنب مع الجناح الماركسي عن العصبة، وفي عام 1869 أسسوا حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي.

---

[1]- صبري محمد خليل، الفكر الاشتراكي مذاهب والمواقف المتعددة منه: sabri.m.khalil@hotmail.com

[2]- حسن صعب، الديمقراطية الحقيقية تجسيد لقيم الإسلام الروحية، الإسلام والديمقراطية، العدد الثامن، السنة01، ديسمبر 2004، ص 22.

[3]- المرجع نفسه، ص 23.

أهم المذاهب الاشتراكية:

1.**الاشتراكية الطوباوية:** وهو اسم يطلق على عدد من الحركات الاشتراكية التي ظهرت في أوروبا مطلع القرن (19) للميلاد، وتدعو إلى بناء مجتمع إنساني سعيد يقوم على الملكية الجماعية والتساوي في توزيع المنتجات والعمل الإلزامي لكل أعضاء المجتمع ومن أقصاب هذه الحركات:

- روبرت أوين في انكلترا.
- سان سيمون وفورية في فرنسا[1].

2.**الاشتراكية العلمية (الماركسية):** تناولت الماركسية الاشتراكية ليس على المستوى القيمي بل على مستوى العلوم الاقتصادية والاجتماعية وطبقا لمنهجها المادي الجدلي والمادي التاريخي الذي هو محصلة تطبيق الأول على التاريخ[2]، ومضمون الأخير أن البنية الفوقية مجرد عاكس للتطور الجدلي الحادث في البيئة التحتية، وهو ما يعبر عن نفسه في صورة صراع تطبيقي.

3.**الاشتراكية الفابية:** هي جمعية انكليزية نشأت في عام 1884، سعى أعضاؤها إلى نشر مبادئ الاشتراكية بالوسائل السلمية ومن أعلامها جورج برنارد شو، وقد أطلق عليها اسم الفابية نسبة إلى القائد الروماني فابيوس[3].

لقد ظلت الديمقراطية الليبرالية في العصور الحديثة سائدة بمفردها قرابة قرن ونصف حتى أن المفكرين يعدونها المفهوم الوحيد للديمقراطية ولكن منذ أن أثر الفكر الماركسي في النظام السياسي ظهور مفهوم الوحيد للديمقراطية هو الديمقراطية الاشتراكية، ففي منتصف القرن (19)، قام كل من كارل ماركس وانجلز بطرح شعار (ديكتاتورية البروليتارية) هادفين من وراء ذلك إلى تحميل الطبقة العاملة آنذاك رسالتها التاريخية من أجل تحرير البشرية من كل عوامل القهر والاستلاب والاغتراب التي

---

[1]- جميل حمداوي، التربية والديمقراطية، ديوان العرب، 09-03-2012 http://diwanalarab.com

[2]- حسن صعب، الديمقراطية الحقيقية، مرجع سابق، ص 23.

[3]- جميل حمداوي، التربية والديمقراطية، مرجع سابق.

سادت العلاقات الاجتماعية في تلك الفترة الطويلة من تاريخ الرأسمالية[1]، وذلك على اعتبار أنها الطبقة الأكثر جدا وقوة أيضا يضاف إلى ذلك أنها أكثر وعي من بقية الجماهير الكادحة الأخرى بسبب تعاملها مع التكنولوجيا.

فالطبقة العاملة في ثورتها ضد الطبقة الرأسمالية لن تخسر سوى بؤسها وفقرها إلا أن الذي حدث كان على العكس مما تصوره ماركس وانجلز، فالطبقة العاملة لم تستطع أن تتحمل مسؤوليتها التاريخية تلك، فالفكر الاشتراكي يرى أن الديمقراطية هي التي تضع حقوق المواطنين في الاقتراع العام والسري لمباشر أي الديمقراطية السياسية إلى جانب ضرورة إلغاء الاستغلال والتأميم الشامل لوسائل الإنتاج حتى لا تصبح الديمقراطية مجرد ديمقراطية مناسبات أي لا يتم كل أربع أو خمس سنوات[2]، فالفكر الاشتراكي يرى أن إلغاء الاستغلال يحقق المساواة الحقيقية التي بدونها تصبح المساواة أمام القانون وفي الحقوق مجرد مساواة شكلية وأن الديمقراطية الاشتراكية تعني بعد التأميم والإلغاء الاستغلال وتحقيق التقدم الاجتماعي.

إن دعاة الفكر الاشتراكي يقومون على نقل مركز الثقل في ممارسة الديمقراطية إلى الجماهير الكادحة بالذات، فالديمقراطية في صيغتها هذه تهدف إلى حصر الجماهير كلها تستفيد من كافة الإمكانيات المتاحة للدولة من مؤسسات وقاعات اجتماعات ومراكز ثقافية ومطابع ...إلخ، غايتها في ذلك تحرير هذه الجماهير من الظلم والجهل وكل علاقات التحالف التي تعرقل طريقها وتقدمها فهذا (لينين) يحدد في كتابة (مشروع برنامج حزين) التطورات التي يجب أن تطبق في مجال التحولات الديمقراطية إذ يطالب:

1. الحق الانتخابي العام.
2. التعليم العالي المدني المجاني والإلزامي.

---

[1]- جميل حمداوي، التربية والديمقراطية، مرجع سابق.

[2]- صبري محمد خليل، الفكر الاشتراكي، مرجع سابق.

3.حرية شخصية وسكن المواطنين.

4.حرية الاعتقاد والاجتماع والكلام.

5.حرية الانتقال والعمل.

6.المساواة التامة في الحقوق بين جميع المواطنين.

7.إعادة النظر في جميع القوانين المدنية.

8.إقامة المساواة التامة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات[1].

وعليه فإن الاشتراكيين في رؤيتهم للديمقراطية حسب هذه المعطيات تبدو لنا أنها صيغة من صيغ الحكم يمكن عبرها تحقيق جملة من الشروط المادية والروحانية الكفيلة بشهادة الإنسان وسبل إبداعه، وهي النظام الذي يشعر الإنسان من خلاله بأنه استطاع أن يحقق عودته من غربته التي ضاع فيها مئات السنين من القهر والظلم والعذاب إلى إنسانيته أي العودة من استلاب الذات الإنسانية[2]، بكلمة أخرى أن الديمقراطية الاشتراكية هي صيغة من الحكم يتحقق فيها حكم الأغلبية المستغلة، ضد الأقلية المستغلة، إلا أن هذه الطبقة لا تعطي مرة واحدة وفي مدة زمنية محددة بل على عكس ذلك تماما أنها صيرورة دائما تتطلب نضالا مستمرا.

يرى الاشتراكيون في الديمقراطية ضمانة للحريات الأساسية التي تكفي الدولة البرجوازية بمجرد الاعتراف بها كحرية تعبير والصحافة والاجتماع ...إلخ، لأن حرية الصحافة لن تمارس إلا بعد التأكد من زوال إمكانية تأثير رأسمال عليها وفقا لوجهة النظر المركسية فإن المجتمع الوحيد القادر على تحقيق الديمقراطية هو المجتمع الشيوعي الذي تختفي فيه كل أنواع العبودية[3]، وفي هذا المجتمع فإن الديمقراطية

[1]- علي الدين هلال، مفاهيم الديمقراطية، مرجع سابق، ص 46.

[2]- مرجع نفسه، ص ص 47-48.

[3]- سعاد الشرقاوي، النظم السياسية، مرجع سابق، ص 136.

تختفي أيضا فالديمقراطية كما يقول لينين ما هي إلا شكل من أشكال الدولة ومن ثم فهي تفترض الاضطهاد وتطبيقه.

إن النظرة الديمقراطية عموما لفكرة مجردة ذات طابع إنساني شمولي مطلق قابل للتطبيق كنموذج ثابت في كل زمان ومكان دون مراعاة الخصائص يعود في الحقيقة إلى الجهل بمفهوم الديمقراطية نعنها من جهة أخرى وإلى الجهل في كيفية تطبيقها من جهة ثانية، إن هذا الجهل بشقيه كثيرا ما وقعت فيه قيادات دول منظومة الدول الاشتراكية المنهارة، إذ أعدت هذه القيادات أن الديمقراطية كنظرية وممارسة موقفا سياسيا أرادوا من خلاله بناء مجتمع جديد بعيد عن كل مقومات الداخلية والخارجية[1]، هذه الرؤية في طريقها النظري والعملي هي التي أوقعت قيادات الأحزاب الاشتراكية في انحرافات مثل سيادة الحزب الواحد وتفتيت دور الجماهير الفعلي عن قيادة الدولة والمجتمع ومن ثم الوقوع في ما يبني (عبادة الفرد).

- ما الفرق بين الديمقراطية الليبرالية والديمقراطية الاشتراكية؟

يعد جون ستوارت ميل أول من نادى بالاشتراكية الليبرالية حيث تحافظ الدولة على دور لها في تنظيم الاقتصاد مع الاحتكار ضمن جو من المنافسة الحرة والملكية المختلطة (جميع المفهومين مع بعض الليبرالية والاشتراكية).

- الديمقراطية الليبرالية – تنظيم الاقتصاد (اقتصاد السوق) قطاع الخاص.
- الديمقراطية الاشتراكية الملكية المختلطة (العامة).

النموذج الليبرالي:

- التركيز على الملكية الخاصة ودور المبادرة الفردية في كل ميادين الاقتصاد الوطني.
- التركيز على دور القطاع الخاص في زيادة الاستثمارات وتحقيق النمو الاقتصادي.

[1]- كامل صالح أبو جابر، البعد السياسي والاجتماعي للديمقراطية، المجلة العربية للعلوم السياسية العدوان، (5-6) مطبعة الأديب البغدادية، بغداد نسيان، 1992، ص 85.

– اقتصاد دور الدولة على بناء وتحسين البنى التحتية وسن التشريعات الاقتصادية والمالية والاجتماعية الملائمة للاستثمار (تأمين المناخ والبيئة الملائمة للقطاع الخاص حتى يشمر هدم دور الدولة) [1].

النموذج الاشتراكي:

– لجوء الدولة إلى تأميم المنشآت الاقتصادية لاسيما الكبيرة منها في القطاعات الصناعية والزراعية والمصرفية.

– اعتماد خطط لتوجيه النشاط الاقتصادي.

– الدولة هي مستثمر الأكبر الأول تخطط وتوجه الاقتصاد كافة القطاعات تتملك المؤسسة أما القطاع الخاص فدوره ومحدود جدا.

– هيمنة القطاع العام وإهمال للقطاع الخاص الدولة هي المستثمر أول[2].

الاشتراكية الليبرالية أو الليبرالية الاشتراكية:

هي فلسفة سياسية اشتراكية تظم مبادئ الليبرالية لا تهدف الاشتراكية إلى إلقاء الرأسمالية بالكامل واستبدالها لاشتراكية، ولكنها تدعم بدلا من ذلك الاقتصاد المختلط الذي يشمل الملكية الخاصة والملكية الاجتماعية في السلع الرأسمالية، على الرغم من أن الاشتراكية الليبرالية تفضل بشكل لا لبس فيه الاقتصاد القائم على السوق، إلا أنها تحدد الاحتكارات القانونية والصناعية بتكون خطأ الرأسمالية وتعارض الاقتصاد غير المنظم تماما[3]، فهي تعتبر أن الحرية والمساواة متوقفتان وتتعمد كل منهما على الأخرى.

تستند مبادئ الاشتراكية الليبرالية إلى أعمال الفلاسفة مثل جون ستيوارت ميل – وإدوارد بيرنشتان وجون ديوي وكارلو روسيلي ...إلخ ومن بين الشخصيات الاشتراكية الليبرالية الهامة الأخرى

[1]– ويل ديورانت، قصة الحضارة، تر: محمد بدران، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص 68.

[2]– مرجع نفسه، ص 68.

[3]– محمد طه بدوي، النظرية السياسية العامة للمعرفة السياسية، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1986، ص 83.

ميندو كالو غيدو، وبيبرو جوبيتي، ليونارد هوبهاوس، وجون مايتار، كينز وريتشارد هنري، كان هدف الاشتراكية الليبرالية هو التغلب على الجوانب الاستغلالية للرأسمالية من خلال مصادرة مالكي العقارات والانفتاح على كل فرصة لامتلاك الأراضي[1]، كانت الاشتراكية الليبرالية بارزة بشكل خاص في السياسة البريطانية والإيطالية.

يمكن التعرف على أفكار الاشتراكية الليبرالية المهمة عند جون ستيوارت ميل، الذي وضع نظرية مفادها أن المجتمعات الرأسمالية يجب أن تمر بعملية تدريجية من التنشئة الاجتماعية من خلال الشركات التي يسيطر عليها العمال والتعايش مع المؤسسات الخاصة، رفض "ميل" النماذج المركزية الاشتراكية التي يمكن أن تثبت المناقشة والإبداع[2]، لكنه قال إن التمثيل ضروري في حكومة حرة وإن الديمقراطية لا يمكن أن تعيش إذا لم يتم (توزيع الفرص الاقتصادية بشكل جيد)، وبالتالي تصور الديمقراطية ليس فقط كشكل من أشكال الحكومة التمثيلية ولكن منظومة اجتماعية كاملة.

[1]– محمد طه بدوي، النظرية السياسية العامة للمعرفة السياسية، المرجع السابق، ص 86.

[2]– رقية سعيد خلخال، النظرية النقدية للديمقراطية في الفكر السياسي الغربي، كلية النخبة الأهلية، بغداد، 22 ديسمبر 2019، ص 106.

الفصل الثانـي

الديمقراطيـة عند دوتوكفيل

المبحث الأول: مفهوم الديمقراطية عند دو توكفيل.

المبحث الثاني: انعكاسات فلسفة دو توكفيل على الفلسفة الأمريكية.

المبحث الثالث: أهمية ديمقراطية دوتوكفيل في الفلسفة السياسية الأمريكية.

المبحث الأول: مفهوم الديمقراطية عند دو توكفيل.

بعد ذهاب ألكسيس دوتوكفيل إلى (و. م. أ) نقطة تحول في تاريخ فرنسا والسياسة الفرنسية ككل، فلم تكن هذه الأخيرة بعد تمتلك نظام مستقر منذ الثورة، وبمقدار ما كانت فرنسا بلد الحقوق الإنسان بحسب توكفيل أكثر من أي بلد آخر بعملية المساواة في الظروف المعيشية، وبالتالي يفرض رأيه في توسيع ممارسة الحرية السياسية ليشمل كافة الأفراد وعلى ضوء هذا أطرح التساؤل التالي: هل تتوافق المساواة في الظروف مع ممارسة الحرية؟ وبعبارة أخرى ما هي الديمقراطية الأصح التي عين بها دو توكفيل؟

إن كتاب دو توكفيل عن الديمقراطية في أمريكا تحديدا يقطع مع أطروحة كانت مقبولة حتى تلك الفترة، تقول إنه على المساواة أن تحد من ممارسة المواطنة، ومن ذلك فإنها ستعيق الحرية، تبرهن الديمقراطية على العكس تماما، فهي بالتأكيد تشمل دوما أسيادا وخدما، وأرباب عمل وعمالا غير أن علاقاتهم المتبادلة أضحت تدار بمبدأ المساواة، وعلى الصعيد السياسي تترجم الديمقراطية بتوزيع متوازن للسلطات التشريعية والتنفيذية القضائية وبمشاركة فعالة للمواطنين في الحياة السياسية المحلية ونفوذ الرأي العام[1].

وبالتالي تقوى الديمقراطية على المقارنة مع الأرستقراطية، لكن هذا العيب هو المقابل الطبيعي للتواجد المشترك الفعلي للمساواة والحرية ولتسوية الظروف التي يؤدي إليها.

الديمقراطية في أمريكا هو كما يوحي الاسم: انعكاس على الديمقراطية، تبحث لبناء (العلم السياسي الجديد لعالم جديد كليا أمريكا)، والتي هي المواد التي تساعد توكفيل لزراعة الحدس، ولكن من الواضح أن هناك كتابا عن (الديمقراطية من أمريكا) لاحظ توكفيل (و. م. أ) فكلمة الديمقراطية هي في عنوان الكتاب هي المعنى الذي يستخدم من قبل علماء الاجتماع هيكل المساواة، شكل الاجتماعي

[1]- هديل العتوم، ممارسة الديمقراطية عند ألكسيس دو توكفيل في علم الاجتماع، 13 يناير 2012، 13:00 https://e3arabi.com.

الـذي يعـارض هيكلـة العـالم الأرسـتقراطية[1]، فهـي أكثـر مـن سياسـة، شـكل مـن أشـكال الحكومـة، الديمقراطية هي فئة اجتماعية.

هنـاك نمـوذج الـذي هـو أبعـد مـن كتابـات توكفيـل "مونشـكيو" مؤلـف (روح القـوانين) قـد حلـل أشكال الحكـم المعتدلة، خلص إلى أن الحرية يمكـن تأمينهـا في الأنظمـة السياسية المختلفـة، الجمهوريـات والممالك، في نظام الملكية الدستورية حيث تسود عدم المساواة قد يكون لها مجموعة واسطة من الحريات، المساواة هي إطار هذا الصندوق مشكلة غير معروفة لا شيء أدهشه كلا من زيارته إلى (و. م. أ) على قسـم المسـاواة غيـاب أمـر هرميـا هـذه هـي الأخبـار الكبـيرة[2]، فتصبـح المسـاواة هـي المبـدأ الخـلاق لكـل مواطنين أمريكا (اللغة، القواني، المؤسسات السياسية...إلخ) فقوة المساواة الاجتماعية هي القوة والخطر للديمقراطية.

والديمقراطية التي ينظر إليها في الولايات المتحدة الأمريكية لديها القوة التي سوف تحتاج العالم هو بعد استعارة البحرية عاصفة حكمية، يجب على الرجال العيش معها بالتالي يجوز لهم تنظيم أو تطغى به، ولكـن لا يمكـن تجاهـل الطريقـة الـتي بهـا تقـوم لمحاولـة تسـوية وجهـات نظـرهم لمعرفـة قـوة واتجـاه هـذه الديمقراطية، وفي (و. م. أ)، يرى توكفيل نفسه على أنه نوع جديد من الليبيرالية[3]، والسؤال المطروح هنا هو لماذا يا ترى رأى توكفيل أن نظام الأمريكي ليبيرالي؟ وهنا أجاب توكفيل في نقاط ثلاثة اتجاهات:

1-الحوادث وحالة معينة من مجتمع أمريكي. 2-القانون. 3-الجمارك.

يسلط توكفيل الضوء على البيانات الجغرافية، فالولايات المتحدة الأمريكية لديها نعمة من عدم وجـود تهديـد الجيران، عمليـا أي المخـاطر الـتي تواجـه عسـكري أو لـديها لاسـتنزاف الاقتصـاد مـن أجـل الانفـاق علـى الحـرب. يبـدو أن الطبيعـة تعمـل لصـالح الديمقراطيـة والقـانون في هـذا المجـال تـأثر توكفيـل

[1]- رزيق محمد، المثقف والسلطة مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد 09 جوان 2014، كلية العلوم السياسية جامعة الجزائر ص 76.

[2]- نوربيرتو بوبير، الليبيرالية والديمقراطية صندوق الثقافة الاقتصادية المكسيك، (د. ت)، (د. ط)، ص ص 60، 65.

[3]- هديل العتوم، ممارسة الديمقراطية عند ألكسيس دو توكفيل، مرجع سابق.

بالطابع الاتحادي من الدستور الأمريكي، النظام الاتحادي مجتمعة لحسن الحظ مزايا الدول الصغيرة والكبيرة[1]، في إطار هذه الألية معقدة من الهندسية الدستورية للقوة دولة التي يمكن أن تدافع عن نفسها من التهديدات الخارجية والحيوية للدول الصغيرة التي تسمح بالتكيف مع ظروف الحكومة المحلية مجتمعة.

أيضا داخل الأرض الدستورية، توكفيل يحلل وضائف القضاء الأمريكي، مما لا شك فيه، أساسية في نطاق الوزن الديمقراطي، تسليط الضوء على سلطة القضاة لمراجعة دستورية القوانين، وقد اعترف الأمريكيون حق القضاة أن تبني قراراتها على الدستور بدلا من التركيز على القوانين، وبعبارة أخرى وقد سمح لهم ليس فرض القوانين التي يرونها غير دستورية، باختصار الأمريكيون موثوق محاكمتها سلطة سياسية هائلة[2]، ولكن هذا بإجبارهم على مهاجمة القوانين ولكن ليس عن طريق الوسائل القضائية، وقد قللت كثيرا من مخاطر تلك السلطة.

هناك فرق ملحوظ بين النظام القديم والديمقراطية الجديدة، في حين يخضع المجتمع الأرستقراطي حسب الفئات الاجتماعية القاسية التي ليت تتاح إرادة الفرد أو الميراث ولكن سلسلة من الأحكام القانونية، في الليبيرالية يولدون جمعيات المجتمع تنموا، تتكاثر وتموت من العمل التطوعي للأفراد، هذه بالطلع وسيلة لتعزيز قوة مواطن أيضا الفرامل إلى السلطة الاستبدادية للحكومة وممارسة الديمقراطية يصبح هذا فوران نقابي لممارسة الأساسية الديمقراطية[3] أي هو النظام الذي يخشى منظمة مستقلة من مواطنيها.

من الصعوبة بإمكان فهم ماهية الديمقراطية الحديثة دون العودة إلى منابعها التي نظرها الفرنسي ألكسيس دو توكفيل، الذي تميز بتحولاته القسرية والسريعة في دراسة المفاهيم الديمقراطية، والتي أسست في مراحل لاحقة لفكرة المجتمع الديمقراطي في أوروبا المعاصرة، التحول التوكفيلي في هذا الخصوص، لم يكن نتاجا نظريا بقدر ما جاء نتاجا ومفرزا واقعيا لمعايشة توكفيل لواقع المجتمعات وحاجتها لسلم

---

[1]- نوربيرتو بوبيو، الليبيرالية والديمقراطية، مرجع سابق، ص ص 67، 68.

[2]- هارفي سي مانسفيلد، توكفيل مقدمة قصيرة جدا، تر: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثاقفة، مصر، ط1، 2016، ص 32.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 34، 35.

والعدالة، وهي المرحلة التي شكلت لديه حالة أشبه بالتوبة أو الخروج من الكفر إلى الإيمان[1]، إذا لم يقبع ابن العائلة الأرستقراطية في قصر فرساي العاجي، الذي توظيف فيه بعد حصوله على درجة الحقوق، بل أثر التنقل في عموم أوروبا وإفريقيا، دراسة واقعية للمجتمع السياسي واضعا بذلك اللبنات الأولى لماهية الديمقراطية في الفكر السياسي والدستوري الحديث.

بدأ توكفيل حياته السياسية بتأييده احتلال بلاده للجزائر، فدافع عن فكرة الفصل العرقي في التشريع بين الفرنسيين والجزائريين الذين اعتبرهم مواطنين فرنسيين من الدرجة الثانية، إلا أنه عدل عن أفكاره بعد زيارته للجزائر 1846، فدعا في بداية الأمر إلى الفصل بين العرب والأمازيغ في منطقة القبائل المشتعلة بالثورات، وعارض غزو بلاده لأمازيغ ما طلبنا بإعطائهم حكما ذاتيا في الوقت الذي أيد فيه إخضاع العرب للحكم الفرنسي بشكل مباشر[2]، قبل أن ينسف كل أفكاره عندما اندلعت الثورات في عموم الجزائر، فتنبأ في العام 1847 بأن الممارسات الفرنسية في الجزائر ستنتهي بحمامات دم إذا لم تجد فرنسا الكيفية التي تمكنها من معاملة السكان المحليين.

في قراءة تأصيلية لدعوات توكفيل الذي لم يسعفه العمر (53) لاستكمال مشروعة تبدو تأثيراته البنيوية في صياغة فكرة الديمقراطية في عموم أوروبا والعالم، بدءا من فهم خصوصية المجتمعات المحلية التي شكلت الأساس التاريخي لنقل أوروبا من استبداد ديمقراطية الجماعة إلى فكرة المجتمع الديمقراطي الذي تتبناه الجماعة الديمقراطية، وهي الأفكار التي تأثر بها فلاسفة الديمقراطية من بعده أمثال الفيلسوف الألماني يوهان التسيوس (1577-1638)[3]، الذي نسف فكرة الديمقراطية الأغلبية، مرورا بأراء النمساوي "أتوبارو" (1881-1938) الذي أسس الحزب الديمقراطي الاجتماعي فطرح في العام 1907 فكرة الحقوق الثقافية.

---

[1]- هديل العتوم، ممارسة الديمقراطية عند توكفيل، المرجع السابق.

[2]-حميد موحان دكويش المسوي رؤية الفكر السياسي الليبيرالي والاشتراكي للديمقراطية، المجلة السياسية والدولية، الجامعة التقنية الوسطى، معهد الإرادة، الصحافة، ص 336، 337.

[3]- علي الدين هلال مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث، مرجع السابق، ص 46.

لم يبدأ توكفيل بالثناء، ولم يبالغ في الثناء عليها مطلقا، بل أثنى عليها فقط وهو يصفها قيد التطبيق، بدأ توكفيل كتابه الديمقراطية في أمريكا، بقوله إن الديمقراطية حقيقية "حقيقة إلهية" وهكذا أبعد نفسه عن مواقف المروجين والمعارضين لها (حيث كان لا يزال في عصر معارضون لها)، ثم ذكر إن الديمقراطية كانت أسهمها في تصاعد في كل مكان، وقد وصلت لقمة نضجها في أمريكا ولم تكن بحاجة إلى من يروج لها، ولا يمكن كذلك معارضتها[1]، كان توكفيل يعتقد أن المروجين والمعارضين للديمقراطية ليسوا على صواب، وخاصة المروجين لأنهم أكثر انسجاما مع العهود الديمقراطية.

فالديمقراطية يجب أولا أن تحلل وتقييم نقاط القوة والضعف فيها، ثم يمكن بعد ذلك مدحها على نحو مفيد بهدف التأكيد على رؤية المروجين لها ومواجهة أفكار المعترضين عليها قيت توكفيل الديمقراطية بدلا من أن يفترض أنها أسلوب حكم جيد، أو نظم الحكم الوحيد المتكامل، والديمقراطية التوكفيلية هي المواساة في الأوضاع وأنها أسلوب حياة فقط عندما أتى على ذكر البيوريتانين بدأ يصفها بأنها شكل من أشكال الحكم الذاتي[2]، فالمساواة هي الهدف الدائم للوحيد هي لو كان دائما هدفا غير محقق كان في ذهنه الفارق بين الديمقراطية والأرستقراطية.

إن الديمقراطية حالة اجتماعية معينة لا تؤدي إلى الترابط الاجتماعي الشديد والمثال على ذلك في أمريكا التغيير الذي حدث في قانون الميراث من البكورة (حق الابن البكر في إرث التركة كاملة)، إلى المساواة بين الأبناء في الميراث أو توريث الأباء باختيارهم بعض الأبناء، لقد كان الهدف من نظام البكورة في الميراث هو عدم المساس بالملكيات العقارية الأرستقراطية وغرس الافتخار بأسلافنا في حين أن نظام المساواة في الميراث حرر الأفراد من القيود الأسرية وجعلهم يفكرون في المستقبل بدل الماضي[3]، لقد

[1]- علي الدين هلال مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث، مرجع السابق، ص 47، 48.

[2]- رقية سعيد خلخال، النظرية النقدية للديمقراطية في الفكر السياسي الغربي، مرجع سابق، ص 126.

[3]- عبيد بوداود، ألكسيس دو توكفيل، قراءة في بعض أفكاره ومواقفه، المرجع السابق، ص ص 206، 207.

انتشرت المساواة في جميع أنحاء المجتمع في بعض الأحيان في شكل شغف من أجل التميز القائم على التنافس الذي يرفع الأشخاص البسطاء إلى منزلة العظماء.

كيف يكون الأفراد الديمقراطيون أقوياء وليس ضعفاء؟ لك يقب توكفيل إنهم بالضرورة أقوياء أو ضعفاء. إن مفهومه الخاص بـ: الحالة الاجتماعية، إذا فصلناه عن السياسة يبدو وكأنه يندرج ضمن علم الاجتماع، وهو علم كان لا يزال في بداياته في عصره، لكنه بخلاف علماء الاجتماع وعلماء العلوم الاجتماعية الأخرى المعاصرة، لم يكن يعتقد أن السمات الاجتماعية هي التي تحدد الأمور السياسية لأن الاعتقاد بذلك يتجاهل تأثير السياسة على المجتمع الذي أوضحه توكفيل من خلال قانون الميراث[1]، قد أوضح توكفيل هنا بأن الحالة الاجتماعية هي في الوقت نفسه نتاج الحقيقة والقانون، كما أنها السبب الأول لمعظم السلوكيات الاجتماعية.

على الرغم من الانتماء الأرستقراطي لتوكفيل، والذي من دون شك ترك أثارا على معتقداته الفكرية والسياسية، إلا أننا نعتبر توكفيل تخلص لحد ما نعوض هذا الموروث العائلي والفكري، وساعدته سعة ثقافته، والتجارب التي استقاها من خلال تنقلاته العديدة وعمق التفكير الذي تميز به إلى تجاوز كل ذلك وتقديم طروح فكرية عدت ثورة في حد ذاتها وجعلت منه شخصية مثقفة مرموقة، وما ميز هذا الليبيرالي من خلال انتاجه المتعدد[2]، والتي كانت توحي بنظراته المتشائمة للتاريخ هو ذلك التناقض أو عدم التجانس بين الحرية والديمقراطية.

إن الديمقراطية بالنسبة لتوكفيل لا تحتاج إلى دراسة أو مناقشة بل يجب تطبيقها أم لا؟ بل يعتبر ذلك من المسلمات، لذلك اعتبره علماء الاجتماع واحد من أكبرهم في تلك الآونة وبهذا التتويج يظهر إلى جانب مونتيسكيو كأول أخلاقي فرنسي، ويعتبر توكفيل مسيرة التاريخ تتجه حتما بالمجتمعات نحو الديمقراطية أفكاره الرئيسية هي الحقائق الثلاث البارزة في مؤلفه النظام القديم والثورة

[1]- عبيد بوداود، ألكسيس دو توكفيل، قراءة في بعض أفكاره ومواقفه، المرجع السابق، ص 203.

[2]- مؤيد جبير محمود، الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، ج1، المرجع السابق، ص ص 51، 52.

الأولى: هي أن كل الناس مدفوعين بقوة مجهولة[1]، والتي يمكن أن نعتبرها أنها تنظمهم وتمهلهم ولكن دون أن تقهرهم أحيانا تتدفع ببطء وأحيانا توجههم نحو تحطيم الأرستقراطية.

أما الفكرة الثانية: فهي أن المجتمعات المختلفة التي استطاعت أن تتخلص من الحكم المستبد، هي بالتحديد المجتمعات التي لم تتمكن الأرستقراطية البروز منها، وهو بذلك يربط في علاقة دينية بين الأرستقراطية والاستبداد وذلك بناء على دراسة التاريخ الأوروبي والمواقف والأدوار التي قامت بها هذه الطبقة في دعم الأنظمة المستبدة ومصادر الحريات الفردية، وكبت مشاعر الجماهير وتطلعاتها إلى الحرية، وهنا تبرز **الفكرة الثالثة**: وهي أن الاستبداد لا يمكنه أن يحدث أشياء مؤدية إلا في المجتمعات التي تتواجد بها هذه الطبقة[2]، يظهر من خلال هذا التحليل أن توكفيل مثل بحق رجل القطيعة مع النظام القديم على الرغم أن بعض المؤرخين يعدونه من خلال مشواره السياسي من اليمين المحافظ.

ربما تبرز في هذا المقام فكرة تتمثل في التباين بين الأفكار النظرية لتوكفيل، والتي ضمنها في مؤلفاته وبين مواقفه وسلوكه السياسي تجاه بعض القضايا الداخلية والفرنسية والخارجية ومنها الموقف من المشكلة أو القضية الجزائرية، وقد ربط توكفيل بين المساواة والديمقراطية وبالتالي طرح إشكال الديمقراطية في العمق وربطه بالجانب العملي لا النظري فقط، وأثناء مناقشته لفكرة الديمقراطية في أمريكا[3]، اعتبرها أي الديمقراطية تيار لا يمكن مقاومته لأنه أصبح قضاء لا يمكن الإفلات منه، واعتبر مناقشة فكرة الديمقراطية في حد ذاتها أي في وجودها أو تنفيذها فكرة متجاوزة.

إن المهم في تصوره هو كيف نجني الفوائد المترتبة على الديمقراطية؟ ولعل المساواة تعتبر أبرزها لذلك اعتبر إعادة التوزيع الثروات وذلك بتقليل المسافات (الفرق) بين الغني والفقير، يمكن أن يؤدي إلى التقريب بينهما، إن فكرة الحق المشترك تملك القدرة المطلقة في تقوية المساواة، ولقد وجد توكفيل في

---

[1]- ليوشتراوس جوزيف كروبش، تاريخ الفلسفة السياسية، ج2، المرجع السابق، ص 423.

[2]- المرجع نفسه، ص 225.

[3]- رزيق محمد، المثقف والسلطة، المرجع السابق، ص 79.

الواقع الأمريكي ما يصدقه تحاليله، ولعل في هذا التحليل انتقاد غير مباشر (غير صريح) للتفاوت الطبقي الذي كان يميز المجتمع الفرنسي[1]، مما أدى إلى التمييع الديمقراطية، وكان ينبئ بهزات اجتماعية سوف تتعرض لها فرنسا في المستقبل القريب.

تتحقق الديمقراطية إذا أردنا أن نؤسس لنظام اجتماعي بدون نخبة اعتباطية، حيث أن أكبر عدد من الناس يعيشون في أحسن حال ولكن في هذه الديمقراطية، الحرية تكون مرفوضة بدون أن يسود السلام المنسجم، إن الإحساس بالمساواة بعيدا عن الحصول المفضل منها بأن من مفارقة المجتمع الذي يصبح محافظا وفوضويا في نفس الوقت فوضوي بسبب عدم تفادي الشروط[2] لأن معظم أعضائه يأملون في الكثير من الخسارة على حساب الربح في الثورة.

توكفيل يفكر كديمقراطي أرستقراطي واعي لا يستغني عن سنة 1789، لكن ينظر إليها على أنها أكبر لحظة ثورة، لأنها حكمت بالمنطق حينما قرروا العمل من أجل التحرر، غير أن الأنظمة التي تعاقبت بعد هذا الحدث لم نحقق الهدف المرجو، لأنها لم تستطيع هزم المركزية ولم تتخلص من الأرستقراطية، ولم تحسن وضع المهمشين ولم تتمكن من نسف التقاليد والذهنية القديمة، إن توكفيل أدرك بحسه وعمق تفكيره أهمية الحركات الطبقات) الاجتماعية في حركية المجتمع[3]، مما قد تصدقة الأحداث المتعاقبة على التاريخ الأوروبي عامة والفرنسي خاصة حيث كان لهذه الحركات الاجتماعية دورها في تحديد طبيعة النظام.

يعتبر توكفيل الباحث في التغيرات العميقة التي كانت تضرب المجتمعات الأوروبية أنذاك على المستوى السياسي ولا سيما ثورة فرنسا عام 1830، وجد في كتابه الديمقراطية في أمريكا، حلا بهذه القضية (الديمقراطية) عن طريق دراسة مسألتين مهمتين (المساواة–الحرية) وكان السؤال الوحيد الذي

[1]– نور بيرتوبير، الليبيرالية والديمقراطية، المرجع السابق، ص 76.

[2]– هديل العتوم، ممارسة الديمقراطية عند ألكسيس دو توكفيل، المرجع السابق.

[3]– هارفي مانسفيل دو توكفيل، مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 43.

يشغله هو: كيف ننقذ الحرية؟ ويعتبر بأن المجتمع يتطور بالضرورة نحو المساواة، أي نحو الديمقراطية التي ترتدي معنيين مختلفين عنده[1]، **الأول** وهو أن الديمقراطية هي في ذلك النظام التمثيلي الذي يقوم على اقتراح واسع، و**الثاني** هو أنها مجتمع تعتبر فيه المساواة كالقيمة الاجتماعية الأساسية، إلا أنه وهو المعجب بنمو الديمقراطية وتطورها في المجتمع الأمريكي باتجاه مساواة الأوضاع بين الناس يعتبر بذلك بأن الحرية في تلك المجتمعات مهددة بطغيان الأكثرية.

يميز توكفيل بين الديمقراطية كحالة اجتماعية شبه محققة في معظم الدول الغربية، وبين الديمقراطية كحالة سياسية لا تزال بعيدة المنال، وبما أن الحرية السياسية ترتدي بنظرة أهم قيمة فإنه يدعو لحمايتها عن طريق اللامركزية والفصل بين السلطات ووجود سلطات المراقبة كالصحافة والجمعيات وغيرها، والديمقراطية التوكفيلية تقم على أساس المساواة في الشروط الاجتماعية فإن الديمقراطية وعلى العكس منها تماما تقوم على إلغاء نظام الامتيازات الأرستقراطية المتوازنة وتحل محله نظام المساواة في الشروط الاجتماعية[2] لتكون كل الأعمال والمهن وكل ميادين الشرق والكرامة مفتوحة أما الجميع لتضمن فكرة الديمقراطية بذلك وفي الوقت نفسه المساواة الاجتماعية والاتجاه نحو وحدة أساليب الحياة ومستوياتها.

وتلمس توكفيل الديمقراطية بهذا المعنى في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء زيارته لها، فقد رأى أن هذه البلاد تقدم نموذجا للمجتمع القائم على المساواة، ومن شأن المساواة الاجتماعية في تصوره إن نقود إلى نوع محدد من المساواة السياسية يتجسد عادة في منتظمين، فهناك أولا سيادة لا مجتمع، وهناك أيضا سيادة الواحدة على الجميع، ويرى توكفيل بأن الأمريكيون اختاروا المنتظم الأول من حالتين هيمنة شخص واحد على الجميع ليتمسكوا بسيادة الشعب[3]، ولا شك أن السلطة التي يمتلكها الشعب سلطة

[1]- ألكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ج1-2، تر: أمين موسى قنديل عالم الكتب، القاهرة، د .س، ص ص 126، 127.

[2]- ألكسيس دو توكفيل، النظام القديم والثورة الفرنسية، تر: خليل كلفت المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص 209.

[3]- ألكسيس دو توكفيل ، الديمقراطية في أمريكا، المصدر السابق، ص 136.

مطلقة لكنها في الوقت نفسه ليست سلطة شخص واحد ولا هي سلطة الجميع لأنها في الحقيقة سلطة العدد الأكبر من الشعب أي سلطة الأكثرية.

ومفهوم الحرية عند توكفيل هو مفهوم الحرية التي تجد قوتها في الاتحاد والأمريكيون عبروا عن هذه الوحدة عن طريق إقامة المؤسسات الحرة المعبرة عن حالة الاتحاد وهي تمثل العقلية أمام خطر السلطة المركز به، ويضح توكفيل المؤسسات والجمعيات الدينية والهيئات المحلية في مقدمة هذه المؤسسات وأكد على ضرورة أن يتعلم الناس فن المجتمع وربما هذا يوحي برضاه عن وجود الأحزاب وهو يرى أن الأحزاب الأمريكية تتميز عن الأحزاب الأوروبية بأنها لا تقوم على الاختلافات الايديولوجية[1]، ويمكن القول بأن الليبيرالية التي تمسك بها توكفيل هي شكل من أشكال التوفيق بين الأرستقراطية والليبيرالية المطلقة التي كانت تجتاح الولايات الأمريكية المتحدة عندما زارها ودرس نظامها وديمقراطيتها.

يبدو منظور توكفيل لدراسة الموضوعات السياسية على أنه انطلاق من مناهج أولئك الكتاب السياسيين في القرنين 17 و18، الذين بدأوا أبحاثهم بدراسة الإنسان فحسب، أي بصرف النظر عن مواطنته في نظام حكم معين وتبدأ دراسة السياسة عند توكفيل ببحث عن الوضع الاجتماعي، الذي هو يوجه علم نتيجة لظروف أو لقوانين، وفي الغالب يكون نتيجة لهما معا، لكن حالما يستقر فإنه ينظر إليه بدقة، على أنه هو نفسه مصدر معظم القوانين والعادات والأفكار التي تنظم سلوك الأمم، فما لا ينتجه يعد له[2]، وكتابه في الديمقراطية مخصص لبيان الطريقة التي تجعل فيها وضع اجتماعي معين مثل المساواة يحس به في المؤسسات السياسة للأمة.

إن الوضع الاجتماعي الذي يكون المبدأ المحرك لأنظمة الحكم الديمقراطية هو شرط العدالة، وهذه هي الحقيقة الأساسية التي يبدوا أن كل الحقائق الأخرى تستمد منها، كما يرى توكفيل يبدأ فكره السياسي بإدراك انتصار مبدأ العدالة الذي لا مفر منه وقبوله، ولم يكن مسار السنوات 800 الأخيرة

[1]- ألكسيس دو توكفيل ، الديمقراطية في أمريكا، المصدر السابق، ص 139.

[2]- المصدر نفسه، ص 210.

غالبا فحسب (أي أنه يقضى إلى انتصار المساواة)، بل يرى توكفيل أيضا في تحليله سجل حاجات الإنسان تعبيرا عن الإرادة الإلهية[1] فتطور المساواة الظروف أو الأوضاع هي واقعة خاصة بالعناية الإلهية.

إن كان على الناس في عصرنا أن يقتنعوا عن طريق ملاحظة يقظة، وبتأمل ملخص بأن التطور التدريجي للمساواة الاجتماعية هو في الحال، ما في تاريخهم ومستقبلهم فإن هذا الاكتشاف وحده سيقضى على التغير الطابع المقدس للقانون الإلهي إن محاولة كبح الديمقراطية ستكون في هذه الحالة مقاومة لإرادة الله وستجبر الأمم بالتالي على أن ترضى بالنصيب الاجتماعي الذي تمنحه لها العناية الإلهية[2] يتضح من هذه الملاحظات أن توكفيل لا ينظر إلى الإنسان على أنه مجبر داخل قبضة حتمية كاملة، فهو يخبرنا بأن العناية الإلهية لم تخلق البشرية مستقلة تماما وحرة تماما.

هذه المساواة التي يمكن أن تفهم بأنها مبدأ الأنظمة الديمقراطية يمكن أن ترى في لغة إعلان استقلال، ومن ثمة ينظر إلى القضية التي تقول أن" كل الناس ولدوا أحرار" على أنها القضية الأولية أو على أنها حقيقة واضحة بذاتها لأن حق الحياة والحرية وتعقب السعادة من حيث أنها حقوق كلية مستمدة من هذه الحقيقة الأساسية وإذا كان كل الناس أحرار فإنه لا يكون من حق أي إنسان بالطبيعة أن يقتل إنسانا آخر أو يتعدى على حريته أو يحدد له طريقته في الحياة[3]، ولا تمتد المساواة التي نتحدث عنها إلى القدرة العقلية إذ يسلم توكفيل بأنه حتى مع ظهور المساواة الأكثر تطرفا للأوضاع فإن تفاوت العقل يظل واحدا من بقايا المزعجة للنظام القديم.

عرض توكفيل في كتابه الديمقراطية هو أن يبين للناس كيف يكونون متساوين وأحرارا ويشدد توكفيل ليس عن طريق مساواة الديمقراطية بأية صورة دستورية ترتبط بها، أعني حكومة الشعب الحكومة النيابية فصل السلطات على خوفه من أن القوة المحركة الفعلية للديمقراطية أعني الشغف بالمساواة تطابق

[1]- ألكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ج1، المصدر السابق، ص 140.

[2]- المصدر نفسه، ص 142.

[3]- هديل العتوم، ممارسة الديمقراطية عند ألكسيس دو توكفيل، المرجع السابق.

الطغيان والحرية أيضا، فالطغيان قد يوجد جيدا مع ما يبدوا أنه دساتير ديمقراطية[1]، وخلافا لبعض معاصريه الذين اعتقدوا أن التطور التدريجي للمساواة يسير جنبا إلى جنب مع التحطيم النهائي لا مكان الطغيان على الأرض، لقد فهم توكفيل أن المبدأ الديمقراطي يميل إذا ترك فطريا إلى استبداد لم يخبر من قبل.

يتجه توكفيل في كتاباته إلى نظام الحكم الأمريكي في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ليس لأنه يجسد بالضرورة مبادئ النظام الأفضل، إنما لأنه يبرز ذروة ذلك التقدم التاريخي نحو المساواة المتزايدة باستمرار ومن ثم هي عند توكفيل، مواجهة مع الديمقراطية نفسها وعندما يشتد توكفيل على مساواة الأوضاع بدلا من المساواة ببساطة، فإنه يلفت النظر إلى وضع من المجتمع يصبح فيه تصور المساواة متحققا بالفعل[2]، إنه الوضع المجتمعي الذي يواجه فيه الناس يعظهم بعظا عندما تتجلى لهم مساواتهم بالمعنى المجرد في فرص متساوية للتربية وفي تسوية الثورة، وفي التأكيد المنتظم للحقوق السياسية.

[1]- هديل ما نسفيلد توكفيل، مقدمة قصية جدا، المرجع السابق، ص 52.

[2]- مرجع نفسه، ص 54.

المبحث الثاني: انعكاسات فلسفة دو توكفيل على الفلسفة الأمريكية

الديمقراطية في أمريكا هو كما يوحي الاسم، انعكاس على الديمقراطية، تبحث لبناء علم سياسي جديد لعالم جديد كليا، وأمريكا هي المورد الذي ساعد توكفيل على زراعة الحدس، فالديمقراطية التي ينظر إليها في (و.م.أ) لديها القوة التي بها يجتاح العالم وبالتالي أطرح التساؤل التالي:

لقد كان لكتابات توكفيل انعكاسات على الفكر الأمريكي، فما هي أهم هذه الانعكاسات؟ وفيما تمثلت؟ وهل كان لفلسفته دور في بروز علم سياسي قوي؟

لقد تميز كتاب دو توكفيل(الديمقراطية في أمريكا) بوصف تحليلي بارع للديمقراطية التي تحكم المؤسسات الأمريكية، وكيفية عمل هذه المؤسسات وبين برؤية سياسي محنك وعالم اجتماع من طراز خاص، كيف تعمل الديمقراطية على صناعة رفاه حياة الإنسان وازدهار المجتمع، إذ يهدف كتابه إلى الإجابة عن السؤال التالي "لماذا المجتمع الديمقراطي في أمريكا ليبيرالي؟ في البداية يعطي توكفيل معنى محددا لمفهوم الديمقراطية أو المجتمع الديمقراطي، إذا تبدو في نظره هي المساواة في الشروط[1]، فالمجتمع الديمقراطي يعني ذلك الذي لا نعود فيه تمايزات على الصعيد الأنظمة أو الطبقات، وحيث يكون الأفراد الذين يؤلفون مجموع الناس متساوون اجتماعيا.

يحلل توكفيل وظائف القضاء الأمريكي، مما لا شك فيه أساسية في نطاق الوزن الديمقراطي تسليط الضوء على سلطة القضاة لمراجعة دستورية القوانين، وقد اعترف الأمريكيون حق القضاة أن تبني قراراتها على الدستور بدلا من التركيز على قوانين وبعبارة أخرى وقد سمح لهم ليس فرض القوانين التي يرونها غير دستورية باختصار، الأمريكيون موثوق محاكمها سلطة سياسية هائلة، لكن باعتبارهم على مهاجمة القوانين ولكن ليس عن طريق، الوسائل القضائية وقد قللت كثيرا من مخاطر تلك السلطة[2]، كما

[1]- ألكسيس دوتوكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المصدر الساب، ص 42.

[2]- المصدر نفسه، ص 86.

يسمح الدستور الأمريكي التدفق الحر للعقارات ورأس المال، ومن الجدير بالذكر في هذا العدد أن التأمل يجعل عالم الاجتماع الفرنسي على القواعد التي تحكم الميراث في (و.م.أ).

في الولايات المتحدة هناك حركة كاملة في تكوين الجمعيات، وثقافة التظيم، الذاتي التي لا يوجد لها نظير في العالم القديم، في كل مكان لكل مشكلة، لدفاع عن المصالح، أي مشروع لتشجيع الجمعيات الطوعية يتم تصور ما يجعل توكفيل يشير لأهمية وتأثير هذه الممارسة غير النقابي، تحديث، التقليد الجمهوري، دمج الكون المجتمع التجاري، الولايات المتحدة الأمريكية إلى تمهيد الطريق نحو المتوقع للمصالح الخاصة للعالم السياسي مربح، فهناك فرق واضح بين النظام القديم والديمقراطية الجديدة[1]، في حين يخضع المجتمع الأرستقراطي في جس الفئات الاجتماعية القاسية التي ليست نتاج إدارة الفرد أو الميراث ولكن سلسلة من الأحكام القانونية.

يتضح من القراءة الديمقراطية في أمريكا مشاعر توكفيل ضد الديمقراطية غامضة مثل استخدام لكلمة في رسالة رأى توكفيل نفسه كحرف بين عالمين، لقد ولدت، وقال في بريد الكتروني، لم يمن ولكن عندنا العالم القديم، لقد عشت. حيث لا يبدأ العالم الجديد، وهكذا خلص أن لا يمكن أن يشعر تعلق على أي من تلك الأوقات، في ظروف مطابقة، رأى توكفيل ايجابيات ولكن أيضا لمست تعميم الحياة الاجتماعية[2]، التلميح من أشكال الاستبداد الجديدة الهانية الأساسية، وقد قيل التحرر هو المزيد من الديمقراطية اليبيرالية.

وتتكرر التهديدات المساواة أثناء وجودي في الولايات المتحدة، لقد لاحظ توكفيل أن الدولة الاجتماعية والديمقراطية الأمريكية، قدمت منشأ فريد من نوعه لإنشاء الاستبداد، الملعب الذي يمكن أن يؤدي إلى ما يسمى توكفيل (طغيان الأغلبية) هو نتيجة المساواة لأنه يؤدي إلى فكرة أن هناك المزيد من الضوء والحكمة في تجمع العديد من الرجال في واحدة، هنا يحذر توكفيل من أن يعرف أي بلد آخر

[1]- نوربيرنو بوبيو، الليبرالية والديمقراطية، صندوق الثقافة الاقتصادية، المكسيك، د.س، ص 64.

[2]- المرجع نفسه، ص 65.

حيث أقل الإبداع والحرية حيث هناك أكثر سطحية من (و. م. أ)، معظم الفترات من خلال فرض قواعد التوافق والتجانس[1]، حيث لا يوجد أي بلد كما هو الحال عند أمريكا أقل استقلالي العقل والحرية وحقيقة للنقاش ولكن أيضا قد تأكدت الديمقراطية الأمريكية، العلاقات التقليدية أين تربط الرجال في المجتمع، فيركزون على المصالح الأنانية أو لا قبل كل شيء.

مثل الفيلسوف والمؤرخ دو توكفيل أبرز المفكرين المحدثين الذين أرخوا لكيفية قيام الديمقراطية في أمريكا، انطلاقا من تحليل وقراءة الأحداث السياسية والثقافية الكبرى التي عرفتها العصور الحديثة، خاصة الثورتين الفرنسية والأمريكية، ويعود الفضل إليه في إثارة طبيعة العلاقات بين المؤسسات السياسية الديمقراطية، وثقافة المجتمعات الحديثة من خلال دراسة شكل حكومتها أظهر تحليل هذا المفكر لمجتمع السياسي الحديث، وخاصة لطبيعة نظام الحكم في الديمقراطية الأمريكية[2]، وبالتاي فهم الصعود الفكري الديمقراطي السياسي الحديث، خاصة من حيث كونه يناقش قضايا ثقافية واجتماعية متصلة بالديمقراطية السياسية الحديثة.

ولأجل توضيح هذه العلاقة وكيفية مساهمتها في تشكيل النموذج الديمقراطي الأمريكي، يحاول كتاب الديمقراطية في أمريكا، تقديم إجابات محددة لأسئلة التي يطرحها نشوء النظام الديمقراطي الحديث. من رحم الليبرالية السياسية، والتي يمكن إجمالها في التساؤل حول كيفية مساهمة بعض المعطيات التاريخية والثقافية السياسية في قيام الديمقراطية في أمريكا القرن التاسع عشر وهل من علاقة بين الثقافة وقيام النظام الديمقراطي داخل المجتمع الأمريكي؟[3]، هاته التساؤلات تشير إلى ثلاث نقاط رئيسية وقد تمثلت في أهمية كتاب الديمقراطية في أمريكا ومكانته في الفلسفة السياسية الحديثة تم إبراز منهجية دو

---

[1]- المرجع نفسه، ص76.

[2]- الحسين أخدوش، الثقافة والمؤسسات الديمقراطية في أمريكا القرن 19، 20-09-2019 الساعة 18:45، https://www.mo mirroun.com.

[3]- المرجع نفسه.

توكفيل في دراسة ظاهرة الديمقراطية ودور الثقافة والمجتمع في قيام الديمقراطية الأمريكية من خلال هذا الكتاب.

لكتاب (الديمقراطية في أمريكا) مكانة خاصة في المؤلفات السياسية للعصر الحديث، حيث ظهر في فترة صعود التيارات السياسية الليبرالية والديمقراطية الأوروبية وحتى الأمريكية، وقد نشره توكفيل في القرن التاسع عشر والذي تناول موضوع أثر الديمقراطية على السياسة المدنية في أمريكا، ثم أبرز الفرق فيه بين ما نتيجة الديمقراطية من سبل لإنقاذ القوانين وما تفرضه من سلطان على الشؤون العامة[1]، وقد عمل المؤلف على استكشاف الأضرار والمنافع التي أدت إليها، ودرس الاحتياطات التي اتخذتها الأمريكيون في توجيهها، وتؤكد بيان العوامل التي مكنت لها من أن تحكم المجتمع.

لقد تحولت الحضارة من الشرق إلى الغرب واكتملت عند الجرمان، وتحققت في الدولة باعتبارها الروح الموضوعي، وحدة الإرادة الكلية مع إرادة الفرد المؤسس الحقيقي للدولة، نهاية التاريخ هو بالذات تحديد النهاية الحتمية في النموذج الذي تتجسد فيه الحرية والدولة الديمقراطية العقلانية، من أوروبا إلى أمريكا إذن هي أرض المستقبل، فما هنا سوف يتكشف في العصور القادمة عصر هام من عناصر التاريخ العالم، وربما كان كذلك على شكل نزاع بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية[2]، إنها بلاد الأحلام لكل أولئك الذين ملوا وضجروا من مخزن الأسلحة التاريخي في أوربا القديمة.

هذا العالم الجديد نتاج للثقافة الرأسمالية، والفلسفة الليبرالية التي تفرد في تفضيلها الفرنسي "ألكسيس دو توكفيل" في كتابه المشهور، القائمة على المؤسسات والمساواة وقوة المجتمع المدني، والقوانين الوضعية، والطبيعة الجغرافية، وخصائص النظام السياسي ومسألة الحرية الفردية ودور اللامركزية في التدبير والتسيير، ومبدأ السيادة للشعب، روح الرأسمالية والعقلانية آتية من القيم البرونستانتية حسب عالم

[1]- ليوستراوس، تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 411.

[2]- صمويل هنتجتون، من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا، تر: أحمد مختار الجمال، المركز القومي للترجمة، ط1، 2009، ص 43.

الاجتماع ماكس فيبر التي حملها المهاجرون الأوائل من أوروبا إلى أمريكا[1]، وترسخت هذه القيم بفضل التربية والتعليم والهامش الواسع للحرية الفردية والجماعية وفي الطرف المقابل كانت بعض الدول تعيش القبظة الحديدية والسلطة المطلقة، والأحادية من الفرد أو الجماعة.

فالفطرة السليمة توضح أن للديمقراطية الليبرالية مزايا كثيرة على منافستيهما الكبيرتين وهما "الفاشية" و"الشيوعية" غفي حين يطرح الغربي بالقول أن ولاؤنا لقيمنا وتقاليدنا الموروثة التزامنا الأكيد بالديمقراطية والليبرالية منتهى الإبداع ونهاية الأنظمة المعادية والقوميات حيث لا يوجد أعدل نظام وفلسفة أقوى من الليبرالية بقواعدها وقيمها السياسة والاجتماعية لا بد من التحاق الدول الأخرى بالركب، ودخول المحطات من خلال اصطلاحات جوهرية، وتبني القيم الليبرالية في كل المجالات للقضاء عل الأنماط التقليدية[2]، بالتالي وضع الدول إزاء التجربة الأمريكية في قوة القوانين وحيوية المجتمع والتنافس الشريف في الميدان السياسي والاقتصادي.

تسعى كافة المجتمعات الليبرالية الحقيقية من حيث المبدأ لاستئصال الأسباب الحقيقية لعدم المساواة. كذلك فإن دينامية الاقتصاديات الرأسمالية تميل إلى الإطاحة بالكثير من العوائق التقليدية والثقافية في سبيل المساواة بفضل التغيير الدائب في طلبها للأيادي لعاملة، دينامية المجتمع الليبرالي في الحرية الفرد والجماعية وتعدد الأديان وحركية المجتمع المدني والمساواة نتاج للسيرورة في بينية الفكر الغربي والثورات اللاحقة والاطراح الديني، ووضع تشريعات وقوانين وضعية لصيانة الحق والدفاع عن المكتسبات في مجاله حقوق الإنسان[3]، فالحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما أو هي امتثال لروح الشعب كما قال هيجل هذا الشعب الذي وضع القيم المناسبة التي لملمت الصراعات والانقسامات في المجتمع الواحد.

---

[1]- صمويل هنتجتون، من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أمريكا، تر: أحمد مختار الجمال، المركز القومي للترجمة، ط1، 2009، ص 44.

[2]- كارل بوبر، بحث عن عالم أفضل، تر، أحمد مستجير، 1999، ص 192.

[3]- هيغل، العقل في التاريخ، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2007، ص 188.

في فترة ما بين 1835و 1840 كتب القاضي الفرنسي ألكسيس دو توكفيل الأرستقراطي الفرنسي كتابا من جزأين بعنوان الديمقراطية في أمريكا، وكان هذا الكتاب خلاصة زيارة قام بها دو توكفيل إلى أمريكا لدراسة نظام السجون فيها خلاصة هذا الكتاب أن النظام الأمريكي هو نموذج مفتوح لتحقيق الإكمال والمثالية في الحكم الديمقراطي، الذي يحقق الحرية والمساواة وحكم القانون، وأنه هو النموذج المثالي الذي يجب أن تسعى للتعليم منه النظم الأوروبية[1]، وتستفيد من تجربته التي تعطي السيادة للشعب بصورة كاملة، وهذه السيادة تتحقق بصورة أقوى كلما اقتربت السلطات من الشعب فتكون قوية وفي أكمل صورها على المستويات المحلية ثم الولائية ثم الفيدرالية.

وبذلك تكون الديمقراطية التي ترسخ السيادة للشعب ممزوجة مع النظام الفيدرالي أو التحادي هي النموذج الذي يحقق الكمال والمثالية في الحكم والسياسة، فماذا حدث لهذا النظام الذي كان يعد أكثر إتقانا وكفاءة وفعالية على مستوى العالم؟ بالتأكيد تعرض هذا النظام للعديد من الأزمات الدستورية والقانونية والسياسية إلا أنه خرج منها جميعا أكثر قوة وتمكنا وأكثر بريقا، لأن تلك الأزمات أنبتت أن النظام لا يزال يعمل بكفاءة واقتدار[2]، وذلك من تمديد فترات حكم الرئيس "ثيودور روزفلت" في فترة الحرب العالمية الثانية لتستمر من 1933 إلى 1945 إلى اغتيال الرئيس جون كندي.

لو يرى ألكسيس دو توكفيل أن الشعب الأمريكي شعب مضياف، وغير متحيز طبقيا وحميمي في علاقته ويمتلك الحيوية الكافية والألفة مع الآخرين، كما أن المواطن الأمريكي يجب العمل التطوعي وتجمعه القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وروح المجتمع المدني، ويرى أن هذه الروح التعاونية حول القضايا هي التي أسهمت في نجاح الديمقراطية الأمريكية وقد أظهر توكفيل عشقا للسلوك الأمريكي إلى درجة أنه اعتبر أن أمريكا قد صدرت سلوكا ثقافيا لأوروبا[3]، وأن هذا اسلوك الفاضل الذي تعتزبه

---

[1]- هارفي- ك، جميلة حنيفي، مسألة النزعة المحافظية، 17-يونيو 2020، https://couua.com.

[2]- نصر الدين محمد عارف، ماذا يعني من الديمقراطية الأمريكية؟ 19-11-2020، الساعة 08:06، https:// al-aim.com.

[3]- صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، الدار الشامية للطباعة والنشر، ص8.

أوروبا يوجد في أمريكا ما هو افضل منه، وما يصدره الأمريكيون خارج بلدانهم أقل حسنا مما يمارسونه في حياتهم اليومية.

أكد توكفيل من ناحية أخرى على وجود الشخصية القومية الأمريكية كصاحبة هوية مميزة مع وجود كل الظروف التي تضعف القومية كالتعددية والهجرة بخلفياتها الثقافية والإيديولوجية المتباينة كأنها مستعمرات ثقافية متناصرة زقد رأى بوجود الهوية القومية رغم كل هذه العطيات وتكلم توكفيل عن الشخصية الأمريكية كحالة قومية متميزة رغم عدم التجانس، إن أمريكا عنده حشد من كل العالم ولكن على الرغم من ذلك، لا يوجد بينهم قدره معقول من التجانس هو قوام هذه الهوية القومية الأمريكية[1]، اهتم توكفيل إلى حد ما بوجود الوحدة الهوية الواحدة مع وجود التنوع وأن ذوبان هذا التعدد في وعاء من التنوع هو اذي أدى إلى القوة والتماسك.

إن القيم الأساسية المفتاحية الداخلية هي التي وجدت هذا التنوع، مثال ذلك مقولة كل الناس سواسية، فهي بمثابة عقيدة لكل الأمريكيون سواسية من حيث العدل وأن وظيفة الحكومة التي تحكمهم هي تحقيق العدالة بينهم، ولهذا تكون السلطة عادلة وبالطبع فتوكفيل يتحدث عن مرحلة ما بعد انتهاء التفرقة العنصرية، وبدأت هذه الهوية المتماسكة تضمحل كما يرى توكفيل بفعل التعددية، فأصبحت شيئا لا يمكن إعادته من جديد كما كان من قبل، لكل التحليل التدقيق للشخصية الأمريكية سيستنتج سمات ما يجمع هذه الشخصية[2]، وهي ما نطلق عليه الهوية الأمريكية، وهذه الشخصية الأمريكية هي الظاهرة التي تحدث عنها زوار أمريكا من خلال ما شاهدوه.

قد تأثر (سيمور مارتن ليبست) في دراساته الاجتماعية والسياسية بالمفكرين السياسيين القدماء مثل أرسطو وكارل ماركس وروبرت ميشلير وماكسفيبر، وأيضا أليكسيس دو توكفيل على وجه خاصت،

[1]- صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، الدار الشامية للطباعة والنشر، ص 9.

[2]- جميس نولان، ماذا رأو في أمريكا، تلر، محمد الأمين زايد، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قطر، المجلد (37)، العدد 3، ص 167.

حيث رفض هذا الأخير حتمية الثورة والاستقطاب الصراعية، وأكد على المحافظة على الانشقاقات السياسية والتوافق السياسي في آن واحد، ومن هنا نجد التلاقي فيما بينهما (ليبست وتوكفيل) حيث صار البحث عن عوامل وآليات التوافق السياسي التي تقوم باحتواء الصراع السياسي[1]، ومن ثم تحييد وتخفيف الرغبة في التغيير الثوري والعنف موضوع اهتمام (ليبست) المستمر في كتاباته عن الديمقراطية والمجتمع.

تأثر المفكرون الفرنسيون الذين قدموا لأوروبا فكرا جديدا كان هو الوقود للثورة الفرنسية الكبرى تأثروا بإنجليترا، ففي أواخر القرن الثامن عشر زار الشاعر والمفكر الفرنسي فوليتر بريطانيا وأعجب بما فيها من حرية، وكتب عنها وكتب ضد الكنيسة وطالب بالمساواة والحرية، وطالب بإصلاح الفساد وإصلاح نظام الضرائب، وكان شديد التأثر بفكر"جون لوك" وبعلم " نيوتن"[2]، وكان ذا نزعة إنسانية عالية وساعده أسلوبه الفاخر في هز بنيان الكنيسة والملكية المستبدة وصاغ الأفكار الانجليزية في توب راديكالي.

ومثله "مونتسكيو" إمام المذهب الجر، وصاحب الكتاب الشهير " روح اقوانين" الذي ألفه سنة 1748 وتحث فيه عن النظرية السياسية بالنظام الدستوري الانجليزي، ولكنه دعا إلى مبدأ الفصل بين السلطات، ليجول مؤسسا دون استبداد أي سلطة من السلطات، وبرر ذلك بأنه ما من فرد يتمتع بسلطة إلا ويميل إلى التعسف في استعمالها، وهو مستمر في ذلك حتى يصطدم بما يوفقه، ولا يوقف السلطة إلا السلطة[3]، ولا سبيل إلى وقف ذلك إلا عن طريق الفصل بين السلطات، وكان مونتسكيو مشهور باعتماده على منهج الملاحظة المنتظمة.

---

[1]- علي الدين هلال، التحول الديمقراطي، سيمور مارتن ليبست، دراسة الديمقراطية، 21:00، 23-09-2019، https://arabprf.com.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث، تر: حيدر حاج ابراهيم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 39.

أما "ألكسيس دو توكفيل" صاحب الكتاب المشهور الديمقراطية في أمريكا فقد انتقل بالفكر السياسي إلى قلب المنهج التجريبي، حيث اعتمد أسلوب الرحلات العلمية الكشفية بغية التوصل إلى تفسير للوقائع والأحداث فسافر إلى أمريكا ووضع الفروض على طريقة المنهج التجريبي العلمي فافترض أن عصرا تضلله الديمقراطية القائمة على المساواة يولد وشيكا، وأن ميلاده سيكون في أمريكا وذهب إلى هناك حيث يختبر صحة الفروض التي وضعها ولم يعتمد على دراسة الوثائق وإنما أجرى المقابلات وتحركبين الناس، وبرغم أن فكرة الدراسة المعلمية للظواهر السياسية والاجتماعية فكرة غلب عليها هاجس السباق مع العلوم الطبيعية[1]، مما جعلها في الكثير من الأحيان حبيسة المختبرات المادية الضيقة إلا أن البعض من أمثال (مرسيل بريلو) اعتبر توكفيل رائد البحث العلمي السياسي في العصر الحديث.

تطور النهج العلمي للسياسة خلال القرن التاسع عشر على طول خطين مختلفين لا يزالان يقسمان المؤرخ والسياسي في 1830 حلل الفرنسي ألكسيس دو توكفيل الديمقراطية في أمريكا ببراعة وخلص إلى أنها نجحت لأن الأمريكيين طوروا فن التكوين للجمعيات" وكانوا من وكانوا من صناعي الجماعات المتساوية، تناقض تركيز توكفيل على القيم الثقافية بشكل حاد مع أراء المنتظرين الاشتراكيين الألمان كارل ماركس وفريديريك إنجلز[2]، الذي قدم نظيرة مادية واقتصادية للدولة كأداة للسيطرة كن قبل الطبقات التي تمتلك وسائل الانتاج.

إن الليبرالية الجديدة في أمريكا أو أوروبا وأول ظهور لمفهوم الفرد مع لفيلسوف الفرنسي"أكسيس دوتوكفيل" في كتابه لمشهور، ولكن تحول استخدام مفهوم الفرد ودراسة سلوك الفرد عند الليبرالية الجديدة وليس من أجل الإنسان أو الفرد فقط، ولكن الأيديولوجيا موجودة بقوة في توجهاتهم الفكرية فإذا نظرنا "صامويل" في كتاب صدام الحضارات وكتاب تلميذه "فرانسيس فوكوياما"

[1]– كوينتن سكنر: أسس الفكر السياسي الحديث، المرجع السابق ص 55.

[2]– دول ديوارنت قصة الحضارة، المرجع السابق، ص 13.

نهاية التاريخ[1]، نجد إصرار قوى على حميته الليبرالية وإجبار الدول والشعب على تطبيقها وأن كان بالقوى كما حصل في العراق والباكستان والصومال وغيرهم من الدول الآسيوية.

إن الديمقراطية الليبرالية بقيمها عن الحرية الفردية، المساواة، السيادة الشعبية، ومبادئ الليبرالية الاقتصادية، تشكل مرحلة نهائية للحكومة البشرية بغض النظر عن كيفية تجلي هذه المبادئ في مجتمعات مختلفة، نهاية التاريخ لا تعني توقف الأحداث أو العالم عن الوجود ولا تقترح تلقائية تبني كافة مجتمعات العالم للديمقراطية[2]، المقصود وجود إجماع عند معظم الناس بصلاحية وشرعية الديمقراطية الليبرالية.

إن معظم دول أمريكا اللاتينية تبنت دساتير ليبرالية عقب استقلالها عن إسبانيا أو لبرتغال في القرن التاسع عشر، غير أن ذلك لم يكن كافيا لتحويلها إلى ديمقراطيات مستقرة، شهدت فرنسا قيام خمس جمهوريات منذ الثورة التي أقرت حقوقا ومساواة على المستوى النظري، وهي حالة مختلفة عن التجربة الديمقراطية لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا[3]، وفقا ل فرانسيس، يغزى هذا لفشل إلى غياب الانسجام الكامل بين الدول والمجتمع.

يمكن اعتبار أن الفلسفة الأمريكية انعكاس وتشكل للهوية الجماعية للأمريكيين عبر تاريخ الأمة الأمريكية، وقد قدم المفكر والفيلسوف والمؤرخ ألكسيس دو توكفيل قدم تعريفه لخاص في الفقرة من المجلد الثاني من العمل المشهور به (الديمقراطية في أمريكا)، كما قال أنه لا يوجد بلد في العالم المتحضر يولي اهتمام للفلسفة أقل من الولايات المتحدة الأمريكية ومع ذلك فمن السهل أن ترى جميع سكان أمريكا تقريبا لديهم نفس الفهم ويسترشدون بنفس القواعد[4]، أي حتى دون عناء تحديد قواعد الطريقة الفلسفية لديهم مثل هذه الطريقة المشتركة بين جميع الناس.

---

[1]- مرجع نفسه، ص 18.

[2]- كوينتن سكنر، أسس الفكر الإسلامي الحديث، المرجع السابق، ص 62.

[3]- دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المصدر السابق، ص 34.

[4]- المصدر نفسه، ص 35.

إن تركيز توكفيل على طبيعة النظم والمؤسسات السياسية جعله يتأنى عن الإرث الذي راكمته السيسيولوجية الفرنسية منذ " أوغشت كونت" التي انحصرت في البحث عن البنى الاجتماعية، الشيء الذي جعل اسم "توكفيل" على حد تعبير آرون دائما يبهت الأمريكية، والتي ألف حولها مؤلف عظيم ما زال يسيل الكثير من المواد سماه الديمقراطية في أمريكا[1]، وفي هذا الصدد يتساءل كل من بودون وبوريكو بنوع من الاحباط إذا لم يكن هو كفيل ضحية لمنهجه المعتمد على الملاحظة والتأمل الدقيقين والتاقبين في احترام تام للمسافة لأزمة بين البحث والموضوع المدروس.

على الرغم من الاستعمال الكثيف لكلمة "ديمقراطية" في كتابات "توكفيل" إلا أن القارئ لأعماله فلما يجد تعريفا لما يعنيه الكاتب بهذا لمفهوم، كل ما يمكننا فعله هو أن نستشف أو نستيطن هذا المفهوم من حال وصف توكفيل للمجتمع لديمقراطي تجمع فكرة الديمقراطية عنده بين المساواة الاجتماعية وبين مسلسل التقريب بين المستويات المعيشية للمواطنين، من هنا تصبح الحكومة الديمقراطية أكثر تعبيرا عن إرادات المواطنين وأكثر تمثيلية لرغباتهم وطموحاتهم ما دامت تنتمي إلى مستوياتهم الاجتماعية نفسها[2]، الشيء الذي يجعل من المجتمع الديمقراطي بهذا الشكل مجتمع المساواة بامتياز على حد تعبير رايمون آرون.

إن مسألة الأفق الديمقراطي عبر مسألة الذات وهي التجربة التي قدمها لنا توكفيل عندما يسائل الديمقراطية الأوروبية عبر مساءلة شقيقتها الأمريكية ويبحث للثورة الفرنسية عن هوية ضاعت أحيانا وسط زحمة الأفكار وعويل البنادق، صحيح أن اسم توكفيل قليلا ما يتار كأحد المؤسسين الفعليين لعلم الاجتماع، وقليلا ما يتم لرجوع إلى أعماله من أجل إعادة قراءة المسار المعقد الذي قطعه هذا لعلم إن الجهل بأعمال مفكر وسوسيولوجي من عيار توكفيل أصبح غير مبرر منذ أن تمت العودة إليه من أجل

[1]- يوسف صديق، جدلية الثورة والديمقراطية عند ألكسيس دو توكفيل، مرجع سابق.

[2]- دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، مصدر سابق، ص 48.

تلمس تعثرات المسار الديمقراطي للعديد من الدول الأوروبية[1]، فتركيزه على طبيعة النظم والمؤسسات السياسية جدعله ينأى عن الإرث لذي راكمته السوسيولوجية الفرنسية منذ –أ– كونت التي انحصرت في لبحث عن البنى الإجتماعية.

وعندما يتحدث توكفيل عن الصحافة الأمريكية فإنه يلاحظ مجموعة من الانحرافات ولكنه أكد بالمقابل أنه إذا كان هناك عم أكثر بشاعة من الترخيص للصحافة فهو منعها ومنبين ما تميزت به الديمقراطية الأمريكية هو جمعها بين العقيدة والحرية، بين السياسة والدين وبشكل متناسق وعميق، وبنبرة أقرب إلى الشاعرية يحاول توكفيل أن يصف هذا لترابط بين قوتين(قوة الإيمان، وقوة العقل)[2]، فيرى الدين في الحرية تسخيرا شريفا لملكات الإنسان، وفي عالم السياسة مجالا قدمته الإرادة الربانية لخدمة قوى الذكاء أما الحرية فترى في لدين رفيق الصراعات التي خاضتها والانتصارات التي حققتها، فالحرية ترى أن الدين ضامن القيم، وفي القيم ضمانة للقوانين وعربون ترسيخها.

[1]– يوسف الصديق، جدلية الثورة والديمقراطية عند ألكسيس دو توكفيل، مرجع سابق.

[2]– ليو ستراوس، تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 426.

المبحث الثالث: أهمية ديمقراطية دوتوكفيل في الفلسفة السياسية الأمريكية.

لقد نشرت الديمقراطية في أمريكا بعد سفر توكفيل في الولايات المتحدة الأمريكية وتعتبر اليوم عملا مبكرا لعلم الاجتماع والعلوم السياسية، كان توكفيل ناشطا في السياسية الفرنسية، أولا في ظل النظام الحكم الملكي في يوليو(1830-1848) ثم من خلال الجمهورية الثانية (1849-1851) التي نجحت في ثورة 1848 في فبراير، تقاعد من الحياة السياسية بعد انقلاب لويس نابليون بونابرت في 2-12-1851 وبعد ذلك بدأ العمل في النظام القديم والثورة، "وقال إن أهمية الثورة الفرنسية هي مواصلة عملية تحديث الدولة الفرنسية التي كانت قد بدأت في عهد الملك لويس الرابع عشر ومركزتها"[1]، وقد جاء فشل الثورة من قلة خبرة الثواب الذين كانوا ملتزمين للغاية يمثل التنوير المجردة[2]، قد كان توكفيل ليبراليا كلاسيكيا دافع عن حكومة برلمانية، لكنه كان متشككا في أقصى درجات الديمقراطية.

قبل توكفيل دعوة الانضمام الى حكومة الى حكومة أوديلون باروت، كوزير للخارجية في الفترة من 3 يونيو الى 31 اكتوبر عام 1849، ناشد وزير الداخلية "حول دوغر" خلال فترة الاضطراب في يونيو عام 1849، إعادة تفعيل حالة الحصار في العاصمة وأيد عملية اعتقال المتظاهرين، دعم توكفيل منذ فبراير عام 1848 القوانين التي تقيد الحريات السياسة، ووافق على القوانين اللذين جرى التصويت عليهما مباشرة بعد اضطرابات يونيو 1849، واللذين قيد حرية الجمعيات والصحافة[3]، تناقض دعمه للقوانين التي تقيد الحريات السياسية مع دفاعه عن الحريات والديمقراطية في أمريكا، وفقا لتوكفيل فهو كان يفضل النظام باعتباره . الشرط اللازم لممارسة السياسة بالشكل الصحيح.

---

[1]-ألكسيس دونتوكفيل، النظام القديم والثورة، مصدر السابق، ص36.

[2]- عبد العزيز بوباكير، حين تمجد الحداثة الاستعمار http:\\www.echorouk.online.com .2011/12/16 .16:00

[3]- غنا رسكيبريك ونلزغيلجي تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن20 .تر: حيدر الحاج اسماعيل مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت أفريل 2012، ص809.

كان دوتوكفيل يأمل في تحقيق نوع من الاستقرار في الحياة السياسية الفرنسية والذي من شأنه أن يسمح بالنمو المطرد للحرية دون أي عوائق بسبب التذبذبات المنتظمة لفوض التغيير الثوري، ودعم كافيناك ضد نابيليون بونابرت في الانتخابات الرئاسية لعام 1848، وكان من بين الثوب الذين تجمعوا في الدائرة العاشرة في باريس محاولين مقاومة انقلاب "لويس نابيليون بونابرت " واتهموا نابليون الثالث بتهمة الخيانة العظمى لأنه انتهك النص الدستوري، المتعلق بشروط المنصب احتجز في فاس ثم أطلق صراحه[1]، ترك توكفيل الذي دعم عودة أل بوربون الملكية ضد الامبراطورية الثانية لنابليون الثالث، الحياة السياسية وعاد قلعته.

خلال الفترة التي قضاها توكفيل في البرلمان جلس في يسار الوسط، ولكن الطبيعة المعقدة والمتقبلة للبيرالية أدت الى تغييرات متناقضة ومعجبين في مختلف الأطياف السياسية، فيما يتعلق بموقعه الساسي، كتب توكفيل أن كلمة "يسار" هي الكلمة التي أردت إرفاقها باسمي، حتى تظل مرتبطة بها الى الأبد، توكفيل الذي يحتقر ملكية يوليو بدأ حياته السياسية في 1839 شغل منصب عضو في مجلس النواب في البرلمان عن المانش قسم قالو جنيس جلس في يسار الوسط[2]، قد دافع عن وجهات النظر الداعية لإلغاء عقوبة الإعدام ودعم التجارة الحرة بينما كان يدعم استعمار الجزائر الذي قام به لويس فيليب.

في عام 1847 سعى تأسيس حزب اليسار الشاب الذي من شأنه أن يدافع عن الزيادات في الاجور وضريبة التصاعدية، ومخاوف عمالية أخرى، من أجل تعويض جاذبية الاشتراكيين، أنتخب أيضا توكفيل مستشارا عاما لما نشئ في عام وأصبح موقف توكفيل الساسي غير مقبول خلال هذا الوقت[3]، بما أنه لم يكن يثق به اليسار واليمين وكان يبحث عن عذر لمغادرة فرنسا.

---

[1]- غنا رسكيبريك ونلزغيلجي تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة الى القرن20 .تر: حيدر الحاج اسماعيل مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت أفريل 2012، ص811.

[2]- عبد العزيز بوباكير، حين توجد الحداثة الاستعمار، مرجع سابق.

[3]- المرجع نفسه.

في عام 1831 جعل توكفيل من الحكم الملكي على مهمة لفحص السجون والاصلاحيات في الولايات المتحدة الأمريكية ومضى هناك مع صديقه مدى الحياة غوستاف دي يومون، أثناء زيارته لبعض السجون، سافر توكفيل كثيرا في الولايات المتحدة الأمريكية وأخذ ملاحظاته وتأملاته عاد في غضون 9 أشهر ونشر تقريرا، لكن النتيجة الحقيقة لجولته كانت والتي ظهرت في عام 1835، كتب بومون أيضا وصفا لرحلاتهم في أمريكا، جاكسون، ماري أو العبودية في الولايات المتحدة[1]، خلال هذه الرحلة، قام برحلة جانبية الى مونتريال ومدينة كيبيك في كندا السفلى من منتصف أغسطس الى أوائل سبتمبر 1831.

كان توكفيل من أحفاد رجل الدولة كريتيال دي مالثيربيس، ضحية أرستقراطية لبيرالية للثورة الفرنسية ونموذج سياسي لشاب وحساسية للغاية أو يعاني من نوبات شديدة من القلق منذ الطفولة، ظل قريبا من المطالب اليومية للوجود البرلماني، وفترات طويلة من المرض والارهاق العصبي ، اختيار توكفيل السياسة باعتبارها دعوته والتزم بهذا الاختيار حتى طرد من منصبه[2]، ثم اتخاذ قراره لصالح وظيفة عامة مع بعض التأكيد على النجاح.

دخل توكفيل الخدمة الحكومية كقاضي متدرب، هناك أعد نفسه للحياة السياسية مع ملاحظته المواجهة الدستورية الوشيكة بين المحافظين والليبراليين، مع تعاطف متزايد مع الأخير، تأثر بشدة بمحاضرات المؤرخ ورجل الدولة فرانسوا جيزو الذي أكد أن تراجع الامتياز الأرستقراطي كان حتميا تاريخيا بعد أسلوب الليبراليين في ظل النظام الاستبدادي لملوك بوربون المستعاد، بدأ توكفيل في دراسة التاريخ في دراسة التاريخ الإنجليزي كنموذج للتطور السياسي[3]، لقد دخل الحياة العامة بصحب صديق مقرب كان سيصبح غروره البديل غوستاف دي بومونت، تاريخ حياتهم عبارة عن صور مرآة افتراضية.

---

[1]- غنارسكيربك ونلزغيجي تاريخ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص820.

[2]- غنارسكيربك ونلزغيجي تاريخ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص219.

[3]- ألكسيس دوتوكفيل، الديمقراطية في أمريكا المصدر السابق، ص48.

إن ثورة يوليو التي وضعت المواطن الملك، كان إعتلاء لويس فيليب من أورليان على العرش نقطة تحول بالنسبة توكفيل، عمقت قناعته بأن فرنسا تتحرك بسرعة نحو المساواة الاجتماعية الكاملة، كسر مع كبار السن الجيل الليبرالي لم يعد يقارن فرنسا بالملكية الدستورية الإنجليزية، بل قارنها بها أمريكا الديمقراطية ومما يثير القلق أكثر على المستوى الشخصي، على الرغم من قسم الولاء للملك الجديد فقد أصبح منصبه غير مستقر بسبب العلاقات الأسرية مع ملك بوربون[1]، سعى هو وبورمون للهروب من وضعهم السياسي غير، وطلبوا وحصلوا على اذن رسمي لدراسة المشكلة غير المثيرة للجدل لاصلاح السجون في أمريكا.

حقق توكفيل طموحه الدائم لدخول السياسة، خسر محاولته الاولى لمجلس النواب عام 1873 لكنه فاز في الانتخابات بعد ذلك بعامين في النهاية بنى تأثيرا شخصيا هائلا في دائرته الانتخابية، فاز في الانتخابات اللاحقة بأكثر من 70 % من الأصوات وأصبح رئيسا لمجلس المقاطعات (هيئة تمثيلية محلية)، في السياسة المحلية، تم تحقيق سعيه للسيطرة بشكل كامل، لكن حاجته الى الكرامة والاستقلال المطلقين حرمته من التأثير في مجلس النواب لفترة أطول[2]، ولم يكن قادرا على اتباع قيادة الآخرين، ولم يكن لديه أي انجاز تشريعي كبير يحسب له في عهد لويس فيليب.

ولد ألكسبيس دوتوكفيل في عام 1805، وكان ككل أبناء جيله من المذكرين يعيش تحت وطأة الثورة الفرنسية وما خلفته وراءها من أسئلة محيرة، وخيبات أمل مريرة، وجرائم عصيبة عن الفهم، أي نظام سياسي لفرنسا بعد الثورة ؟ لم يبحث ديتوكفيل عن جواب هذا السؤال الحرج في فرنسا وإنما رحل إلى أمريكا يدعو الى دراس نظام السجون في العالم الجديد، عن أن هدفه كان الحقيقة هو ايجاد مخرج لمأزق النظام السياسي في القارة العجوز عن دراسة أسس الديمقراطية في أمريكا واقتراحها كبديل[3]، بعد

[1]- ألكسيس دوتوكفيل، الديمقراطية في أمريكا المصدر السابق، ص56.

[2]- ألكسيس دوتوكفيل، النظام القديم والثورة، المصدر السابق، ص37.

[3]- نور بيرتو يوبيو، الليبيرالية والديمقراطية مرجع سابق، ص66.

إقامة طويلة في نيويورك وبلتيمور وزيارة بعض السجون عاد (دي توكفيل) الى بلده وشرع في تأليف كتاب في جزأين " الديمقراطية في أمريكا " الجزء 01: تناول فيه المؤسسات الأمريكية، أما الجزء الثاني فخصصه للديمقراطية كحالة اجتماعية أي طريقة ونمط التفكير والسلوك والعادات والعلاقة مع الآخر.

خلص توكفيل إلى أن ما يميز الحالة الأمريكية هي الفردانية وتكافؤ الفرص إن أصالة أفكار توكفيل وخلاصة فصله بين الديمقراطية والثورة، جعلت من الأمريكيين يعتبرونه (مونتسيكيو أمريكا وبني الحداثة والأب الروحي لليبيرالية الحديثة)، لم يكن توكفيل منظرا للنماذج السياسية في الحكم، وأبحاثا عن مخرج لمأزق الديمقراطية في بلده وأوروبا فحسب، وإنما كان طموحه عارما في تحويل أفكاره إلى واقع ملموس، وقد ارتبط طموحه هذا بالظاهرة الاستعمارية وبالجزائر تحديدا[1]، ففي العام الذي احتلت فيه الجزائر كان عمره 25 سنة أي قبل سفره إلى أمريكا بعام تقريبا.

كان توكفيل من اتباع الاستعمار الذكي، ناصحا للعسكر، مدافعا عن المعمرين ووصل إلى قناعة بعد أن زار الجزائر مرتين إلى أن أمام فرنسا فرصة أخيرة وخيار واحد لكي تتخلص فرنسا من عزلتها القارية في البحر السياسي، الذي هو المتوسط، ينبغي لها أن توطد الاستعمار عن طريق العنف والاسطان وأهميته بالنسبة له مفيدة لطالما أنها تسهل الاستعمار وتجعل منه أمرا مفيدا، على المعسكر في رأيه أن يقتلوا ويبيدو ويحرقوا، ثم بعد ذلك يسلموا السلطة للمدنيين[2]، والهدف هو استخدام أكبر عدد ممكن من الأوروبيين للاستقرار في الجزائر.

كان توكفيل في لأفكاره وفي ممارسته للسياسة يتأرجح بين (كارل ماركس) الذي تحدث عن الجوانب الايجابية للاستعمار لما تناول حالة الاستعمار الانجليزي للهند، وبين (ميكيا فيلي) في نصحه للأمراء والملوك في كتابه الأمير الذي أطلق فيه شعاره سيء الذكر الغاية تبرر الوسيلة، فالاستعمار في نظره توكفيل ظاهرة ايجابية ولإدراك هذه الغاية كل شيء مبرر الإبادة الاستيلاء على الأراضي الغير وطمس

[1] – نور بيرتو يوبيو، الليبيرالية والديمقراطية مرجع سابق، ص65.

[2] – الحسين أخدوش الثقافة والمؤسسات الديمقراطية في أمريكا مرجع سابق.

الهوية[1]، ولعل الدرس الأول لتوكفيل يحيلنا على ما يجري اليوم في الأوساط السياسية الفرنسية التي تحدث عن الجوانب الايجابية للاستعمار والدرس الثاني وهو أشد وهو أن الليبيرالية والحداثة هدفا وبررتا فكريا وعمليا للظاهرة الاستعمارية وجرائها.

أعجب الارستقراطي الفرنسي "دو توكفيل " بالديمقراطية في أمريكا، فقد رأى فيها وجود تطور لا يقاوم نحو المساواة أوسع في السلوك، وفي المواقف وفي السياسية وفي المؤسسات، وبوصفه من طبقة النبلاء، اتصف موقفه بالتضارب تجاه الحركة نحو الديمقراطية السياسية، غير أنه كان واقعيا ومنفتحا باعتباره مقربا فكريا من مونتسكيو، فمن جهة رأى أن الديمقراطية هي أكثر من كونها نظاما قديما، ومن جهة أخرى قدر توكفيل مخاطر تسطيح المجتمع[2]، أي اذا كان الناس متساوين سينشأ نقص في الجودة، ورأت أن الذي جمع الامريكيين كان بشكل رئيسي الاهتمام المشترك بالمال والكفاءة.

غير أن توكفيل لم يكن يشعر بوجود تهديد للقيم الارستقراطية وأفكار النخبة وحدها، فقد اعتقد بصعوبة التوفيق بين المذهب الفردي والحرية مع المساواة الديمقراطية السلطة في جميع المناطق، تصبح الأقلية المختلفة عنها الأفراد غير المنسجمين معها في خطر التعرض للقمع، وهذا القمع أكبر خطرا من سواه، وكان شعار الثورة الفرنسية هو الحرية والمساواة والأخوة، غير أن توكفيل رأى أنه من الصعب الجمع بين بين الحرية المساواة، وأن تميل الى الفوز على حساب الحرية[3]، وفضلا عن ذلك اعتقد توكفيل أن الديمقراطية المبنية عل المساواة السياسية تؤدي إلى سلطة قوية للدولة، وأن الدولة ستنظم أحوال الشعب المادية.

كان كتاب دو توكفيل المشهور خلاصة زيارة قام بها الى أمريكا لدراسة نظام السجون فيها، واستخلص أن النظام الامريكي هو النموذج المفتوح لتحقيق الكمال والمثالية في الحكم الديمقراطي، الذي

---

[1]- الحسين أخدوش الثقافة والمؤسسات الديمقراطية في أمريكا مرجع سابق.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- محمد عبد الرحمان-توكفيل لماذا رأى السياسي فرنسي نفسه ليبيرالي من نوع جديد؟ 2020/11/13، الساعة 07:00، https:// m.youm7.com

يحقق الحرية والمساواة وحكم القانون وأنه هو النموذج المثالي الذي يجب أن تسعى للتعلم منه النظم الأوروبية، وتستفيد من تجربته التي تعطي السيادة للشعب بصورة كاملة وهذه السيادة تتحقق بصورة أقوى كلما اقتربت السلطات من الشعب فتكون قوية وفي أكمل صورها على المستويات المحلية[1]، وبذلك تكون الديمقراطية التي ترسخ السيادة للشعب ممزوجة مع النظام الفيديرالي أو الاتحادي هي النموذج الذي يحقق الكمال والمثالية في الحكم والسياسة.

بالتأكيد تعرض هذا النظام للعديد من الأزمات الدستورية والقانونية والسياسية إلا انه خرج منها جميعا أكثر قوة وتكنا وأكثر بريقا لأن تلك الأزمات اثبتت أن انظام لا يزال يعمل بكفاءة واقتدار وذلك من تمديد قترات حكم رئيس يتودور روزفلت في فترة الحرب العالية الثانية لتستمر من 1933 الى 1945 الى اغتيال الرئيس جون كنيدي، وفضيحة وترجتي وعزل الرئيس نيكسون على اثرها، وأخيرا فضيحة بلكليتون الأخلاقية[2]، وكذلك لم ينل من الديمقراطية الامريكية حتى جاءت أحداث 11م90م2001 التي فتحت الباب للنيل من جوهر المنظومة، القيم الديمقراطية الأمريكية.

حاول توكفيل إختراق أساسيات المجتمع الامريكي وابراز هذا الجانب، أي المساواة في الظروف، أكثر صلة بفلسفته، خللت دراسة توكفيل الحيوية والتجاوزات والمستقبل المحتمل للأمريكيين ديمقراطية قبل كل شيء، كان العمل مشبعا برسالته التي مفادها أن المجتمع المنظم بشكل صحيح يمكن أن يأمل في الاحتفاظ بالحرية في نظام اجتماعي ديمقراطي، وقد نال الجزء الأول من كتابه الديمقراطية في أمريكا سمعة فورية كمعلم سياسي، خلال هذه الفترة التي ربما تكون أسعد والأكثر تفاؤلا في حياته[3]، وسام جوقة

[1]- محمد عبد الرحمان توكفيل، لماذا رأى السياسي الفرنسي نفسه ليبيرالي من نوع جديد؟، 2020/11/13، 07:00. https://llm-youm7.com

[2]- جابرييل ايه، ألموند جي بن جهام باويل، السياسيات المقارنة في وقتنا الحالي نضرة عالمية تر: هشام عبد الله إدارة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998، ص864.

[3]- المرجع نفسه ، ص866.

الشرف أكاديمية أخلاقي والعلوم السياسية والاكاديمية الفرنسية مع الجوائز والاتاوات من الكتاب وجد نفسه قادرا على إعادة بناء قصر أسلافه في نورماندي.

نتيجة للتراجع التاريخي في الهيمنة الأمريكية خلال العقود الماضية، والتزايد السريع في اعتماد دول العالم على بعضها البعض، فإننا بحاجة الأن الى وضع الولايات المتحدة الأمريكية في منظور يتضمن بشكل واضح، أمما وثقافات أخرى واستخدام مقاييس موحدة في تحليلها، وبالمثل فإن اضافة اليابان الى قائمة دراستنا عن البلدان يطلعنا على حالة الديمقراطية متقدمة لديها اقتصاد أقوى من الاقتصاديات في العالم ارتفعت بسرعة من أصول ثقافية وتاريخية تختلف اختلافا كليا عن العالم الغربي[1]، ولها نموذجها الخاص من الثقافة السياسية للديمقراطية والمؤسسات السياسية وطريقتها الخاصة في تغيير القيم والتحول.

القول ألكسيس دوتوكفيل، كان فيلسوفا أو عالما هو انخفاض كان توكفيل أولا قبل كل شيء رجل من الرسائل الذي يلاحظ الواقع الاجتماعي، يعمل مع الأفكار وتزرع كلمة، ولد في عائلة من النبلاء وقد عانو من طوفان الثورة، كانوا ليس فقط الرجال، أبناء عمومه وأقاربه، كما أدبيا المؤلف الديمقراطية في امريكا استطاع تقدير كل النظم الفلسفية، في مذاكراته هو هذا التأمل حيث قال " أنا أكره هذه الانظمة المطلقة التي تمثل كل أحداث التاريخ كما تعتمد على الأسباب الرئيسية الكبيرة تربطها سلسلة من العذاب ...الخ"[2]، لم يتم وضع توكفيل داخل الأقواس الحتمية، التاريخ ليس أمرا حتميا ولكنه ليس نتاج ثورة فرنسية.

الديمقراطية في أمريكا هو كما يدل الاسم اندكاس على الديمقراطية، تبحث لبناء العلم السياسي الجديد لعالم آخر كبير وفاضل، أمريكا فكلمة الديمقراطية هي في عنوان العمل وجميع أنحاء الكتاب، لكن كما حللت بعض الكتاب ليس هناك تصور واضح للديمقراطية في هذا النص، وضع تطور توكفيل بدلا الخلط المعنى الذي يستخدم هذا المصطلح عادة الاجتماعي، هيكل المساواة شكل الاجتماعي الذي

[1] – نصر محمد عارف، ماذا بقي من الديمقراطية الأمريكية، مرجع سابق.

[2] – ألكسيس دوتوكفيل الديمقراطية ف ي أمريكا المصدر السابق، ص53 .

يعارض هيكلة العالم ارستقراطية أكثر من فكرة سياسية، شكل من اشكال الحكومة، الديمقراطية في فئة اجتماعية[1]، فالنموذج الذي ارتآه توكفيل يشمل السياسة حيث شوه المساواة والحرية على نطاق واسع.

ربما كان أحد جوانب المجتمع الأمريكي الذي لفت انتباه الرحالة الفرنسي له الوفرة النقابي في الولايات المتحدة هناة حرية كاملة في تكوين الجمعيات وثقافة الذاتي التي لا يوجد لها نظير في العالم القديم، في كل مكان لكل مشكلة للدفاع عن المصالح اي مشروع لتشجيع الجمعيات الطوعية يتم تصوير ما يجعل توكفيل يشير الى أهمية وتأثير هذه الممارسة الغير النقابية تحديث تقليد الجمهوري، دمج الكون المجتمع التجاري[2]، وبالتالي الولايات المتحدة الأمريكية مهدت الطريق نحو المتوقع المصالح الخاصة لعالم السياسي مربح.

هناك فرق ملحوظ بين النظام القديم والديمقراطية الجديدة في حين يخضع المجتمع الارستقراطي حسب الفئات الاجتماعية القاسية التي تبنت نتاج إرادة الفرد أو الميراث ولكن سلسلة من الأحكام القانونية في ليبرالية يولدون جمعيات المجتمع، تنمو تتكاثر وتموت من العل التطوعي للأفراد، هذه بالطبع وسيلة لتعزيز القوة مواطن، أيضا الفرامل الى السلطة الاستبدادية للحكومة ومدرسة الديمقراطية[3]، يصبح هذا الفوران النقابي ممارسة الأساسية للديمقراطية، النظام الذي يخشى منظمة مستقلة من مواطنيها.

إن الديمقراطية التي يعرفها توكفيل في البداية على أنها المساواة في الأوضاع وأنها أسلوب حياة فقط، عندما أتى على ذكر اليوريتا ينين، بدأ يصفها بأنها شكل من اشكال الحكم، فالديمقراطية باعتبارها أسلوب حياة لا يستحق ثناء كالذي تستحقه عندما تعني الحكم الذاتي، بالنسبة الى تعريف الديمقراطية بأنها المساواة في الأوضاع، ربما نعترض قائلين أن هناك جوانب عدم مساواة واضحة في الديمقراطية اليوم فضلا عنها في عصره لكنه كان سيجيب بأن المساواة في الأوضاع كانت تتزايد، وأنه من طبيعة

[1]- ألكسيس دوتوكفيل الديمقراطية ف ي أمريكا المصدر السابق، ص54.

[2]- ليوستراوس تاريخ الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص412.

[3]- غنا رسكيريك ونلزغيجي تاريخ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص809.

الديمقراطية[1]، كما لو كانت المساواة هي الهدف الدائم الوحيد حتى لو كان دائما هدفا غير متحقق، كان في ذهنه الفارق بين الديمقراطية والارستقراطية بين الافراد صعودا وهبوطا على سلم السياسة من جهة والتسلسل الهرمي الثابت المعتمد على الفوارق الطبقية من جهة أخرى.

تعلم امريكا نفتها من خلال البلدان كيف يمكن العيش في حرية دوتوكفيل من خلال تحليله، كان يعلم أمريكا ماذا تفعل، اعترف توكفيل أن حكومة البلدة غير موجودة في كافة أنحاء أمريكا، وقد بالغ بلا شك في تقرير فضائلها والحث على تقليدها من خلال مدحه لها، فإذا كان بدأ سيادة الشعب يعمل من أعلى لأسفل بدلا من أسفل لأعلى كما في فرنسا، فسيكون مفروضا ولن يكون محسوسا[2]، فحكومة البلدة التي يكون فيها العديد من المناصب بالانتخاب ترضى الكثير من الطموحات البسيطة وتربط المواطنين بحكومتهم التي يعتبرونها ملكهم، وهي تجعلهم يعتادون على أشكال الحكومات " الأشكال التي دونها تنشأ الحرية فقط من خلال الثورات".

هناك شكل أخر يعلم الحكم الذاتي للأمريكيين، وهو نظام المحلفين، فهو بمنزلة مدرسة مجانية ومفتوحة دائما يصبح كل عضو فيها مدركا على نحو جيد لحقوقه ". في انجلترا كانت هيئات المحلفين المكونة من النبلاء عبارة عن نظام ارستقراطي لكنها في أمريكا نظام ديمقراطي يعلم المواطنين كيف يصدرون أحكاما قضائية، أي كيف ينفذون القوانين العامة، التي من توعية القوانين التي تكون السلطات التشريعية الديمقراطية راغبة في اقرارها في بعض الظروف التي قد تحتاج فيها العدالة لبعض التعديل[3]، وهو يعلم كل شخص ألا ينتحل من تحمل مسؤولية أفعالها الشخصية، وهي فضيلة سياسة إنسانية، بحسب تعبيره أثنى توكفيل على هذا النظام ثناء كبيرا، فهو أكثر الوسائل الحيوية في جعل الناس يحكمون.

[1]- غنا رسكيريك ونلزغيجي تاريخ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص811.

[2]- ألكسيس دوتوكفيل، النظام القدم والثورة، المصدر السابق، ص37.

[3]- أحمد رسلان، الديمقراطية بين الفكر الغربي والاشتراكي دار النهضة العربية القاهرة، 1971، ص10.

ويتضح من القراءة الديمقراطية في أمريكا مشاعر توكفيل ضد الديمقراطية غامضة مثل استخدام لكلمة في رسالة رأى توكفيل نفسه كحرف بين عالمين، لقد ولدت وقال في بريد الكتروني ولم يمت ولكن عندما كان العالم القديم، لقد عشت حيث لا يبدأ العالم الجديد، وهكذا خلص، أنا لا يمكن أن يشعر تعلق على أي من تلك الاوقات في ظروف مطابقة رأى توكفيل ايجابيات ولكن أيضا لمست تصميم الحياة الاجتماعية، التلميح من أشكال الاستبداد وجديدة[1]، ولها نية الأساسية، وقد يصل التحرير هو المزيد من الديمقراطية الليبرالية.

وتتكرر التهديدات المسمات، أثناء وجودي في ولايات المتحدة الأمريكية لقد لاحظت أن الدولة الاجتماعية والديمقراطية الأمريكيين، فدمت نشأة فريدة من نوعها لإنشاء الاستبداد والملعب يمكن أن يؤدي الى ما يسمى توكفيل طغيان الأغلبية هو نتيجة المساواة لأنه يؤدي الى فكرة أن هناك المزيد من الضوء والحكمة في تجمع العديد من الرجال في واحدة[2]، توكفيل يحذر من أن يعرف أي بلد آخر حيث أقل الابداع والحرية حيث هناك أكثر سطحية من الولايات المتحدة الأمريكية، معظم الفترات من خلال فرض قواعد التوافق والتجانس

يقول توكفيل من أنا لا اعرف أي بلد يوجد وعموما أقل استقلال العقل والحرية الحقيقية للنقاش كما هو الحال في أمريكا، أن هناك معظم أثر دائرة الفكر هائلة حول ضمن هذه الحدود للكاتب حر، لكن أي اذا كانت تجرؤ على ترك الامر هي للخوف من أن السيارات الحديد، ولكن يبات الأمل المريرة من جميع أنواع الاضطهاد اليومي، إغلاق مسيرتها السياسية أساء القوة الوحيدة التي لديها القدرة على التحرر[3]، لذا كان هناك كبار الكتاب في الولايات المتحدة الأمريكية أمثال توكفيل، هذا المنظور يلخص ذلك بقدر كبير من الدقة نوربيوتو.

---

[1]- أحمد رسلان، الديمقراطية بين الفكر الغربي والاشتراكي دار النهضة العربية القاهرة، 1971، ص10.

[2]- المرجع نفسه، ص12.

[3]- ابراهيم أحمد شلبي، تطور الفكر السياسي دراسة تأصيلية لفكرة الديمقراطية في الحضارات القديم، دار الجامعية للطباعة والنشر بيروت 1985، ص92.

لبيبرالية مثل توكفيل السلطة هو دائما ضارة، بغض النظر أن كان حقيقي أو غير ذلك هو مشكلة سياسية بامتياز لا يشير كثيرا إلى حمل الذي تحمله السلطة ولكن كيف للسيطرة واحد منها، توكفيل كذلك يتحدث عن تأثير المساواة في العلاقات الانسانية وظهور النزعة الفردية الاستهلاكية[1]، قد تأكلت الديمقراطية الامريكية أيضا العلاقات التقليدية التي تربط الرجال في المجتمع، المفهوم يذوب الوالدين، يركز الرجال على المصالح الأنانية ويتجاهل الأهل.

[1]- عنار سكيريك ونلزغيجي، تاريخ الفكر الغربي، المرجع السابق، ص806.

الفصل الثالث

دراسة نقدية لدتوكفيل

المبحث الأول: نقد الموجه لـ أكسيس دو توكفيل والرؤية الفلسفية لكل من "جون ديوي" و"جون راولز"

المبحث الثاني: معيقات الديمقراطية (انحرافات وعيوب الديمقراطية عند توكفيل).

المبحث الثالث: نقد توكفيل للفلاسفة الذين سبقوه (فلسفة السياسية الديمقراطية).

المبحث الأول: نقد الموجه لـ أكسيس دو توكفيل والرؤية الفلسفية لكل من "جون ديوي" و"جون راولز"

كان توكفيل نشطا في السياسة الفرنسية أولا في ظل ملكية يوليو (1830- 1848) ثم من خلال الجمهورية الثانية (1849- 1851) التي أعقبت ثورة فبراير 1848 واعتزل الحياة السياسية بعد لويس نابليون بونابرت الصورة 2 ديسمبر 1851 انقلاب وبعد ذلك بعد العمل على النظام القديم والثورة، جادل توكفيل في أن أهمية الثورة الفرنسية كانت لمواصلة عملية تحديث ومركزية الدولة الفرنسية التي بدأت في عهد الملك لويس الرابع عشر[1]، جاء فشل الثورة من قلة خبرة النواب الذين كانوا متشبثين بمثل التنوير المجردة.

كان توكفيل ليبراليا كلاسيكيا دعا إلى حكومة برلمانية وكان متشككا في التطرف في الديمقراطية، جلس في يسار الوسط، ولكن الطبيعة المعقدة والمتقلبة لليبرالية أدت إلى تغييرات متناقضة ومعجبين م مختلف الأطياف السياسية،فيما تعلق بموقفه السياسي، كتب توكفيل أن كلمة يسار هي الكلمة التي أردت إرفاقها باسمي حتى تظل مرتبطة إلى الأبد وقد جاء توكفيل من عائلة أرستقراطية نورمان قديمة، وكان حفيد الذي كان قد أعدم في عام رجل الدولة ووالديه كونت توكفيل ضابط في الحرس الدستوري للملك لويس السادس عشر[2].

خلال الجمهورية الثانية إنحاز توكفيل إلى حزب النظام ضد الاشتراكيين، بعد أيام قليلة من انتفاضة فبراير كان يعتقد أن صداما عنيفا بين سكان العمال البارسيين بقيادة اشتراكيين محرضين لصالح "جمهورية ديمقراطية واجتماعية" والمحافظين بما في ذلك الأرستقراطية وسكان الريف لا مفر منه، كما توقع توكفيل، انفجرت هذه التوترات الاجتماعية في نهاية المطاف خلال انتفاضة أيام يونيو عام 1848 بقيادة الجنرال كافينياك، كان القمع مدعوما من توكفيل، الذي دعا إلى تنظيم حالة الحصار التي أعلنها

[1]- ليو شتراوس جوزيف تاريخ الفلسفة السياسي، المرجع السابق، ص ص 41، 42.

[2]- زهير الخويلدي، تاريخ الفلسفة السياسي، 01، تشرين الثاني 2020، https://m. annabaa. Org.

كافينياك وغيرها من الإجراءات التي تعزز تعليق النظام الدستوري بين "ماي" و"سبتمبر"، شارك توكفيل في اللجنة الدستورية التي كتبت الدستور الجديد[1]، وأكدت مقترحاته على أهمية التجربة الأمريكية له (كتعديل له بشأن الرئيس وإعادة انتخابه).

توكفيل في عام 1851 أعاد النظر في دستور الجمعية الوطنية من مؤيدي كافينياك وحزب النظام، قبل توكفيل دعوة لدخول حكومة أوديسون باروكوزير للخارجية من 3 يونيو 1849 إلى 31 أكتوبر 1849، خلال الأيام المضطربة في يونيو 1849، ناشد وزر الداخلية جول أرماند دوفر لإعادة فرض حالة الحصار في العاصمة والموافقة على اعتقال المتظاهرين، وافق توكفيل الذي أيد منذ فبراير 1848 القوانين المفيدة للحريات السياسية، القانونين الذين تم التصويت عليهما مباشرة بعد أيام يونيو 1849 التي قيدت حرية النوادي وحرية الصحافة[2]، هذا التأييد الفعال للقوانين المقيدة للحريات السياسية يتناقض مع دفاعه عن الحريات في الديمقراطية في أمريكا ووفقا لتوكفيل فقد ظل النظام باعتباره شرطا لا غنى له عن الإدارة السياسية الجادة.

كان توكفيل قد دعم كافينياك ضد لويس بونابرت نابليون في الانتخابات الرئاسية عام 1848، وعارض انقلاب لويس نابليون بونابرت في 2 ديسمبر 1851 الذي أعقب انتخابه، وكان توكفيل من بين النواب الذين تجمعوا في دائرة العاشرة بباريس في محاولة لمقاومة الانقلاب وحكم نابليون الثالث بتهمة الخيانة العظمى لأنه انتهك الحد الدستوري لمدد تولي المنصب، اعتقل في فينسين ثم أطلق سراحه، توكفيل الذين أيدوا استعادة من البوربون ضد نابليون الثالث الإمبراطورية الثانية إنهاء الحياة السياسية وتراجعت إلى قلعته[3].

[1]- المرجع السابق.

[2]- محمد مختار الشنقيطي، ديمقراطية لا علمانية شبكة الجزيرة الإعلامية، 03:57، 2021/10/17.

[3]- المرجع نفسه.

في هذه الصورة لتوكفيل استنتج كاتب السيرة جوزيف إبستين لا يمكن لتوكفيل أبدا أن يقدم نفسه لخدمة رجل اعتبره مغتصبا ومستبدا، لقد قاتل بأفضل ما يستطيع من أجل الحرية السياسية التي كان يؤمن بها بشدة لقد أعطاها إجمالا ثلاثة عشر عاما من حياته، كان يقضي الأيام المتبقية له في خوض نفس المعركة لكنه يديرها الآن من المكتبات ودور المحفوظات ومكتبه هناك بدأ مسودة ونشر أول مجلد عام 1856، لكنه ترك الثاني غير مكتمل[1]، فقد كان توكفيل يعاني منذ فترة طويلة من نوبات السل، واستسلم في النهاية للمرض في 16 أبريل عام 1859 ودفن في مقبرة توكفيل في نورماندي.

كما تم التأكيد في مقدمة كتابه الديمقراطية في أمريكا، فإن الغرض من العمل يتجاوز إلى حد ما الديمقراطية الأمريكية نفسها، والتي كانت بالأحرى توضيحا للإدعاء الفلسفي بأن الديمقراطية هي أحد أثار التصنيع، بمعنى من المعاني، متوقعا توكفيل ماركس وجهة نظر الصورة أن التاريخ يتم تحديدها من قبل التنمية ويغير من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ما يسمى التشكيلات التي يتم وصفها محددة القوى المنتجة وعلاقات الانتاج[2]، هذا التركيز على فلسفة التاريخ يبرر بعض الغموض في استخدام كلمة ديمقراطية ويشرح لماذا يتجاهل توكفيل حتى نوايا الآباء المؤسسين للولايات المتحدة فيما يتعلق بالنظام السياسي الأمريكي.

لمتابعة الفكرة المركزية لدراسته (ثورة ديمقراطية سببها التصنيع) كما تجسدها أمريكا، يشير توكفيل بإصرار إلى الديمقراطية، هذا في الواقع مختلف تماما. كما قصده الآباء المؤسسون للولايات المتحدة، علاوة على ذلك، فإن توكفيل نفسه ليس ثابتا تماما في استخدام كلمة(ديمقراطية) وتطبيقها بالتناوب على الحكومة التمثيلية أو الاقتراع العام أو الحكم القائم على الأغلبية[3] وفقا للعالم السياسي جوشوا كابلان كان أحد أهداف كتابة توكفيل للديمقراطية في أمريكا هو مساعدة الشعب الفرنسي في الحصول

[1]- بدوي ثروت، النظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، د. ط، 1975، ص 36.

[2]- بدوي ثروت، النظم السياسية، المرجع السابق، ص 42.

[3]- هارفي سي مانسفيلاد، توكفيل مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 113.

على فهم أفضل لموقفه بين النظام الأرستقراطي المتلاشي والنظام الديمقراطي الناشئ ومساعدتهم على حل هذا الالتباس.

كان توكفيل من أشد المؤيدين للحرية، وقد رأى الديمقراطية بوصفها المعادلة متوازنة الحرية والمساواة، والاهتمام بالفرد وكذلك بالمجتمع وقد كتب توكفيل في ذلك "لدي حب للحرية والقانون واحترام الحقوق ... إلخ، وأنا لست من الحزب الثوري ولا من المحافظين... إلخ، والحرية هي نسقي الأول... إلخ" كتب عن العواقب السياسية للحالة الاجتماعية للأنجلو الأمريكيين، بقوله لكن المرء يجد أيضا في قلب الإنسان طعما فاسدا للمساواة مما يدفع الضعيف إلى الرغبة في إنزال القوي إلى مستواه ومما يجعل الرجال يفضلون المساواة في العبودية على عدم المساواة في الحرية[1]، غالبا ما يتم إقتباه ما ورد أعلاه بشكل خاطئ باعتباره اقتباسا من العبودية بسبب الترجمات السابقة للنص الفرنسي.

تعكس وجهة نظر توكفيل في الحكومة إيمانه بالحرية وضرورة أن يكون الأفراد قادرين على التعريف بحرية مع احترام حقوق الآخرين، عن الحكومة المركزية كتب أنها "تتفوق في المنع لا تفعل"، ويواصل توكفيل التعليق على المساواة بالقول علاوة على ذلك، عندما يكون المواطنون جميعا متساويين تقريبا، يصبح من الصعب عليهم الدفاع عن استقلالهم ضد اعتدادات السلطة[2]، نظر لأن أيا منهم لا يتمتع بالقوة الكافية للقتال بمفرده مع ميزة، فإن الضمان الوحيد للحرية للجميع أن يجمعوا قواهم لكف هذا لمنريج ليس دائما في الدليل.

يستشهد توكفيل صراحة بعدم المساواة على أنه حافز للفقراء ليصبحوا أغنياء، ويشير إلى أنه ليس في كثير من الأحيان أن جبلين داخل الأسرة يحافظون على النجاح وأن قوانين الميراث هي التي تحسم ملكية شخص ما وتفككها في النهاية هي التي تسبب دورة مستمرة من الاضطراب بين الفقراء

[1] – هارفي سي مانسفيلاد، توكفيل مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 115.

[2] – ألكسيس دس توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المصدر السابق، ج1، ص 426.

والأغنياء، وبالتالي على مدى أجيال تجعل الفقراء أغنياء و الأغنياء فقراء[1]، يستشهد بقوانين الحماية في فرنسا في ذلك الوقت التي تحمي التركة من الانقسام بين الورثة، وبالتالي الحفاظ على الثروة ومنع تمخض الثورة كما كان ينظر إليه في عام 1835 داخل الولايات المتحدة.

وفقا للعالم السياسي جوشوا كابلان، لم يبدع توكفيل مفهوم الفردية، وبدلا من ذلك قام بتغيير معناه واعتبره شعورا هادئا ومدروسا يفصل كل مواطن عن كتلة زملائه والانسحاب إلى هذا المجتمع من العائلة والأصدقاء، في حين أن توكفيل رأى الأنانية والأنانية كما الرذائل، ورأى الفردية لا فشل الشعور، ولكن باعتبارها وسيلة للتفكير في الأشياء التي يمكن أن يكون لها عواقب إما إيجابية مثل الاستعداد للعمل معا، أو العواقب السلبية مثل العزلة وأن الفردية يمكن معالجتها من خلال تحسين الفهم[2]، عندما كانت الفردية قوة إيجابية ودفعت الناس إلى العمل معا لتحقيق أغراض مشتركة وكان ينظر إليها على أنها مصلحة ذاتية مفهومة بشكل صحيح.

يختلف آخرون مثل الكاتب الكاثوليكي دانيال شويندت مع تفسير كابلان، مجادلا بدلا من ذلك أن توكفيل رأى الفردية مجرد شكل آخر من أشكال الأنانية وليس تحسينا لها لتقديم قضيته، قد سويندت استشهادات مثل ما يلي: تنبع الأنانية من غريزة عمياء، الفردية من التفكير الخاطئ بدلا من المشاعر الفاسدة، إنه ينشأ من عيوب الذكاء بقدر ما ينشأ من أخطاء القلب، فالأنانية تفسد بذور كل فضيلة، تجف الفردية في البداية فقط مصدر الفضيلة العامة، على المدى الطويل يهاجم ويدمر كل الآخرون وسوف يندمج في النهاية مع الأنانية[3].

لقد أنتجت الثورة عملا جماعيا حرب احتمال البناء الديمقراطي، دولة الرعاية والفائض الاستعماري، ولدت ملاحظات توكفيل نقاشا عميقا في البرلمان الفرنسي حول سبل الرعاية دون تحفيز

---

[1]- ألكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المصدر السابق، ج1، ص 424.

[2]- المصدر نفسه، ص 425.

[3]- غيوم سبيرتام، الفلسفة السياسية في القرن 19 و20، تر: عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011، ص93.

العمل وفرنسا حينها تلاحق الثورات الصناعية بجوارها، غير أن النخبة الفرنسية عالجت مشكلة الفقر بطريقة مختلفة، وقد دفعت جيوشها لاحتلال بلدان أخرى وعالجت فقر شعبها بنهب ثروات الشعوب، وكان توكفيل أحد أكبر المحرضين على الاستعمار وله رسائل معروفة لتبرير احتلال الجزائر[1]، فهل كانت الدولة الأوروبية تصل إلى هذا المدى من الازدهار وتصير أنظمتها السياسية نماذج يقتدي بها لولا مقاتم استعمارية؟ أو هل تبني الديمقراطية في عوالم فقيرة وبفقراء معدمين؟

في الدولة الكافلة أو دولة الرعاية تبلورت الديمقراطية السياسية وتمتعت الشعوب بالحرية والنعماء، متغافلة عن المغنم الاستعماري الذي جعل حياتها رغدا لقد بقى سؤال معلق، هل كانت دولة الرعاية الأوروبية تصل هذا المدى من الازدهار وتصير أنظمتها السياسية نماذج يقتدى بها لولا مغانم الاستعمار؟ أو هل تبني الديمقراطية في عوالم فقيرة وبفقراء معدمين؟ وندقق هل يمكن بناء ديمقراطية في دول فقيرة مستضعفة بشعب فقير؟[2]، فهذه الدول الضعيفة مثال لتواكل الشعب على الدولة فمؤسسوا هذه الدولة انشغلوا بمعالجة الفقر والجهل والمرض، فاقتدوا بنماذج الدولة الاجتماعية التي كانوا يرونها في الدول الأوروبية.

حتى الآن كانت الديمقراطية وسيلة لخداع الفقراء واستعمالهم سياسيا دون بناء الديمقراطية، وهذا الوضع قابل للاستمرار، ولكن إلى حدود، هناك نقطة يستحيل عندها مواصلة خداع الفقراء، لأن المال سيشح فيعجز الدافعون عن الدفع، هنا يمكن توقع الفوضى كنتيجة لا كمخرج من أزمة، فحدوث الفوضى في العالم الفقير سينتج فقط المذابح، فما هو الحل والدائرة تنغلق؟ حتى الآن كانت الديمقراطية وسيلة لخدع الفقراء واستعمالهم سياسيا دون بناء الديمقراطية[3]، وهذا الوضع قابل للاستمرار ولكن إلى حدود، هناك نقطة يستحيل عندها مواصلة خداع الفقراء، لأن المال سيشح فيعجز الدافعون عن الدفع،

[1]- ألكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ج1، المصدر السابق، ص 426.

[2]- غيوم سبيرتام، الفلسفة السياسية في القرن 19 و20، المرجع السابق، ص 96.

[3]- فياض من ألكسيس دو توكفيل والديمقراطية في أمريكا، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد، ط1، 2007، ص 84.

هنا يمكن توقع الفوضى كنتيجة لا كمخرج من أزمة السياسي الذي سيطرح السؤال الواقعي عن أسباب الفقر وجذوره سيعثر عن الإجابة في تاريخ التفقير الطويل الذي مارسه الاحتلال ونهب به ثروات البلد.

يوجد في الرسالة الثانية عن الجزائر لأكسيس دو توكفيل الملامح البشعة للاحتلال الفرنسي عبر قلم وفكر رجل ينظر إليه على أنه أحد الشخصيات الفرنسية عبر القرون، الرؤية الاستعمارية لأكسيس دو توكفيل ومساهمته الفعلية في رسم معالم خطة احتلال الجزائر فالرجل اعتبر استعمار الجزائر فرصة ذهبية لفرنسا لتقيم هناك مستعمرة نموذجية نحقق لبلده الامتداد والنفوذ الضروريين لقوة فرنسا المتعاظمة، النظرة الاستعلائية لأكسيس دو توكفيل أما ما يستدعي انتباهنا عندما نقلب نظرنا في الفكر السائد في القرنين السابع والثامن والتاسع عشر ميلادي في أوروبا هي نظرة الاستلاء التي تطبع الفكر الغربي[1]، فمفكرون وأدباء مثل الأديب السياسي "الفوس دي لامارتين" و"فيكتور هوغر" و"ألكسيس دو توكفيل" السياسي والمؤرخ وعالم الاجتماع تراهم يحللون ويفكرون وفق معايير تحضر من شأن الشعوب الغير الأوروبية، معتبرين إياها خارجة السياق الحضاري والتاريخي لأوروبا مسيحية متقدمة ومتطورة في جميع مناحي الحياة.

فكرة احتلال الجزائر كانت تداعب مخيلة الكثير من رجال السياسة والفكر الفرنسي باعتبارهم في حاجة إلى امتداد جغرافي واقتصادي وثقافي ليجلبوا ما سموه بالحضارة إلى الشعوب المتوحشة وهكذا محوا بجرة قلم الوجود الحضاري للدولة العثمانية والتي كانت آنذاك تعرف فترة انحطاط بالنظر إلى تخلي السلاطين العثمانيين عن قيم العدل والفضيلة وطلب العلم المستمدة من الشريعة الإسلامية ولجوئهم إلى محاولات إصلاح تارة رمزية وتارة أخرى مستنسخة من الغرب المسيحي العلماني والتي لا تتلائم وخصوصيات مكونات وعقيدة المجتمعات المسلمة التي كانت تنضوي تحت لواء الدولة العثمانية[2]، فالتباين على مستوى التطور العلمي كان شاسعا بين أوروبا في النهضة والرحالات الاستكشافية

[1]- فياض من ألكسيس دو توكفيل والديمقراطية في أمريكا، المرجع السابق، ص 85.

[2]- المرجع نفسه، ص 89.

والإصلاحات السياسية وبين عالم إسلامي استبدت به الأهواء وقد تخلى عن سر ازدهاره لأكثر من 700 سنة ألا وهو العمل بمبدأ الاجتهاد والتجديد وفق متغيرات العصر وتحكيم مبدأ العدل وطلب العلم.

إن الانحطاط الذي كان يسود ربوع العالم الإسلامي أتاح الفرصة لاستقواء أوروبا المسيحية الصليبية التي لم تغفر للمسلمين وحضارتهم دينهم أنهم هددوها في عقر دارها بحيث وصولا إلى أسوار فيها في 1529 وعبر البيريني الفرنسية إلى بوانية حاملين معهم نظام وفلسفة حياة مخالفين لرسالة البابا والكنيسة الكاثولوكية في روما، فقد كان هناك جماعتين تتنازعهما رغبة الانتقام، المجموعة الأولى هي ما يسمى برجال الدين والكهنوت المسيحي التي أرفقت جيش فرنسا بجيش آخر من القسيسين والمبشرين المسيحيين، والمجموعة الثانية السياسيون والمفكرين الفرنسيين الذين كانوا ينظرون إلى ما وراء البحر والأطماع تحدوهم في ضم أرض ودولة أزعجتهم سيطرتها البحرية على البحر الأبيض المتوسط[1]، فالنظرة الاستعلائية التي قادت رجال مثل دو توكفيل إلى تأليف رسائل حول كيفية مساعدة الدولة الفرنسية على إحكام قبضتها على الجزائر هي من كانت ولا زالت وراء عدم اعتراف فرنسا بجرائمها وماضيها الاستعماري البشع في الجزائر وباقي مستعمراتها.

كما جاء في مقولة دو توكفيل المشهورة لا نستطيع أن نحكم أمة لمجرد أننا هزمناها فقد كلفت السلطات الفرنسية لشؤون مستعمرتها الجزائر، فدائما ما تستند مهمة دراسات المجتمعات المزعم إحتلالها لرجال مستعدين للدروس على ضمائرهم وقيم الحق والعدل لينجزوا المهمة القذرة، وفي معظم الأحيان يغلب على هذه الدراسات طابع العنصرية باعتبار أن الشرائح الإنسانية المدروسة ينظر لها كأنها جماعات لا إرادة لها ولا شخصية، وحتى حينما يأخذ بعين اعتبار عامل الهوية والإرادة المستقلة[2]، ترى هذه الدراسات تدعوا إلى كسر هذه الإرادة وطمس معالم الهوية وهذا ما وقع في الجزائر، فالجيش الفرنسي

[1] – مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 86.

[2] – مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 92.

اصطدام بقبائل جزائرية وبسكان عاصمة لم ينكسروا أمام الانسحاب العثماني وما بيعة الأمير عبد القادر على قيادة القبائل في وجه الاحتلال، إلا تعبير صارخ عن الإرادة الصلبة للجزائريين بعدم الاعتراف بالهزيمة أمام فرنسا.

عمد توكفيل في البداية إلى الحط من شأن سكان الجزائر، بغية تسهيل عملية إخضاعهم، حذر من المخاطر التي تنجم عن تجاوز الواقع كما هو لكنه أعطى المبررات الكافية لجعل هذا الشعب سهل الانقياد، فحلمه في أن يجعل الشعب الفرنسي والشعب الجزائري شعبا واحدا يتماهى وفكرة ذوبان الثاني في الأول هذا ما تطالب به فرنسا القرن الواحد والعشرون مهاجروها المسلمين، هل اتساع الجزائريون هذا المنطق الأخرق؟ أظهروا بما لا يدعوا للشك مقاومتهم العنيفة لمثل هذا المنطق[1]، فالجزائري سيظل جزائريا والفرنسي فرنسيا، فهو في موضع يشنع بتنازلات فرنسا، كما كان يتهيأ له وفي موضع آخر يدعوا للاستفادة من اختلاف الأمزجة والطباع بين أبناء الشعب الواحد لامتصاص غضبهم واستغلال كل ما من شأنه أن يضاعف من قدرة فرنسا على الهيمنة والسيطرة.

فالسياسي الفرنسي ألكسيس دو توكفسل، طوال تعامله مع الحالة الجزائرية انطلق من رؤية عنصرية لا تؤمن بحق الآخر في تقرير مصيره بشكل مستقل ووصف الوصاية الفرنسية كشرط ضروري لاستقرار جنوب البحر الأبيض المتوسط، وهكذا فإن الرؤيا التوكفيلية والفرنسية ككل قد قننت لظاهرة الاستعمار الغربي الصليبي لمساحات شاسعة من العالم العربي الإسلامي[2]، وإن انسحب عسكريا هذا الاستعمار في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي فهو يفي ثقافيا وسياسيا واقتصاديا عبر نخب منسلخة تسلمت تقاليد الحكم تتسمر في أداء وظيفة الاستعمار البغيض والذي زاد الأوضاع سوءا تخلف العالم العربي الإسلامي عن ركب الحضارة والمشاركة الواجبة في النهضة العالمية لتفرض عليه عولمة صليبية صهيونية أجهزت على نظام صناعته المتمثلة في الدين والشريعة الإسلامية.

---

[1] – مسعود مجاهد، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 93.

[2] – ألكسيس دو توكفيل، الرسالة الثانية عن الجزائر، منشورات زيدم، www. nathratmonchrika. net.

1- جون ديوي وفكره حول العدالة والديمقراطية والسياسية.

أ- العدالة:

يؤمن المنظور النفعي أن العدالة فكرة لا تنبع إلا من النتائج التي تحققها الأفكار وعلى هدف أن عدالة الدولة تنبع من نتائج تطبيقاتها للقوانين، فإذا كانت القوانين تؤدي إلى أهدافها المطلوبة منها فهي عادلة، وإذا لم تحقق أهدافها فهي غير ذلك فقد دعا بينتام زعيم القاتلين بمذهب المنفعة إلى الأخذ بقواعد القانون وإخضاعها لاختبار المنفعة بهدف زيادة سعادة الناس وإنقاص ما يعانونه وهنا انتقد جون ديوي وهو من مطوري الفلسفة الذرائكية الفكرة المثالية القائلة على أن هذا العالم يعمل على معاونة الخير وتحقير الشر، وعَّ مفاهيم العدل المطلق أو المساواة المطلقة أو الحرية المطلقة تعبيرا عن عوالم وهمية مثالية[1]، فالأخلاق في نظره لا تكمن في إدراك الحقيقة ولكن في الاستعمال الذي ينتج عن إدراكها.

اقترح ديوي أنه يمكن النظر إلى القيم كمركبات لحل المشاكل العملية والشيء الذي كان قيما في السابق بحيث تم بناؤه لمعالجة مشكلة ما في ظروف محددة، يمكن أن يعيش لاحقا كتقنية كفاعليها الزمن، ويصبح عائقا أمام الذين يتعاملون مع احتجاجاتهم العملية وقلعهم الحاضر، وهذا هو الحال مع قيم الليبرالية الكلاسيكية كما يرى ديوي، حيث أصبحت بطريقة تتوافق مع ما يعتبره ديوي الالتزام الرئيسي الليبرالي اتجاه الحرية الفردية المنافية للمساواة الاجتماعية[2]، وبهذه الطريقة يمكن أن تصبح شعارات الليبرالية في فترة محددة حصنا من ردود الأفعال ويطور هذه الفكرة في مناقشة علاقة الفرد والمجتمع.

ب-الديمقراطية:

كيف يمكن أن تستوعب الديمقراطية عددا هائلا من رؤى العالم المتعارضة داخل بنية سياسة واحدة نحظى باستقرار والشرعية؟ هذا هو أحد أكثر الأسئلة إلحاحا في عصرنا، هل من طريق لتفادي

[1]- فارس كمال نظمي، مفهوم العدالة في الفكر الاجتماعي (من حمورالي إلى ماركس) الجمعية النفسية العراقية، ع752، السبت 26 تموز 2007، ص 08.

[2]- المرجع نفسه، ص 10.

بنجاح كل أنواع الأصوليات الدينية والعلمانية، ولحماية الديمقراطية التعددية من هيمنة إحدى الأجندات الأخلاقية ضيقة الأفق الخاصة بجماعة ما؟ إذا كنت تعتقد مثلي أن هذه المسألة ذات أهمية قصوى، فسيشرك أن جون روالد أحد ألمع العقول الفلسفية في القرن 20، قد أمضى العقيدين الأخيرين من حياته يكايد هذه المسألة بالتحديد ، وإذا كان ممكنا فكيف يمكن ذلك؟[1]، وإجابة راولز كانت كالتالي: سأجادل بأن قيمة الاشتباك مع فلسفة روالز السياسية تكمن في التوصل إلى فهم واضح للظروف اللازمة للديمقراطية من أجل التفاوض حول التعددية وتحقيق الاستقرار.

يبدأ جول روالز في كتابه الليبرالية السياسية بملاحظة أن البيئة الثقافية للديمقراطيات الحديثة تشمل على تنوع لعقائد دينية وأخرى تستند على أسس فلسفية بجدال رولز أن هذا التنوع ليس مفاجئا، منذ أدت حماية الحرية الشخصية التي تعززها المجتمعات الديمقراطية بطبيعتها إلى زيادة هذا التنوع مع مرور الوقت فيما يطلق عليه الخلفية الثقافية، أي أن المجتمع المدني حيث المساحة التي نصقل بها مثلنا وأهدافنا الشخصية، ويوضح راولز أن تميز الخلفية الثقافية في الديمقراطيات الحديثة بالتنوع ليس أمرا جديدا أو تنويرا على نحو خاص، ولن يتطلب الأمر من معظمنا سوى النظر حولهم لمعرفة ذلك[2]، ولكن الأمر الجديد الذي أولاه راولز عنايته لبصيرة فذة، هو أن التنوع المتنامي هذا يطرح مشكلة تبريرية معينة تتعلق بالديمقراطية يمكن التعبير عن هذه المشكلة كالتالي، إذا كانت معتقداتنا متعارضة ولا يمكن التوفيق بينهما، أي منهما يمكن استخدامها لتبرير النظام الديمقراطي نفسه؟.

يعرف الفلاسفة السياسيون هذه المشكلة بمفارقة التبرير الديمقراطي، فقد يمتلك أي نظام سياسي بما في ذلك الديمقراطية، الحق في تفويض استخدام سلطة الدولة من خلال نظامها القضائي وينظم القوانين ما يعبر إخضاعا شرعيا وقد تستلزم المتطلبات التبريرية الديمقراطية استحالة بناء قوانينها على

[1]- عبد الرحمان عادل، الديمقراطية واللامعقول حرس جون راولز، 2018/01/02، الساعة 17:14، https:// www.ida2at.com.

[2]- المرجع نفسه.

مجموعة عقائد يعتبرها عدد كبير من المواطنين غير مقبولة، وهو الأمر الذي يدفنا إلى ترك الفكرة القديمة القائلة بأن سياسة تسعى من عقيدة معينة[1]، ويوضح راولز هنا أنه بدءا من الفكر اليوناني بأن التقليد المهيمن هو أن ثمة تصورا عقلانيا واحدا لما هو خير أو كان هدف الفلسفة السياسية حينها باعتبارها جزء من الفلسفة الأخلاقية إلى جانب اللاهوت والميتافزيقا هو تحديد طبيعة هذا المفهوم.

ت-السياسة:

لقد عاد راولز في العام 1993 ليقدم كتابه الليبرالية السياسية ليتوج انتقاله النظري من التفكير في الفلسفي إلى التفكير في السياسي، فإذا كان نظرية في العدالة هو عمل نظري فلسفي، يؤسس القيم الليبرالية ويحاجج عنها فإن الليبرالية السياسية هو محاولة لطرح الحل الليبرالي في مجتمع تعددي لا يؤمن جميع أطرافه بالضرورة بذلك القيم الليبرالية التي حاجج عنها راولز وهو ما يشرحه لنا عادل ظاهر في فلسفة جون راولز السياسية فقد يقيم راولز نظريته على الفصل في المفهومي بين العقلاني والمعقول[2]، وهو تفريق يستعيره راولز ككثير من مفاهيمه من فلسفة كانط للعقل العملي التي تفرق بين المطلق والشرطي أو الاختيار العرضي للوسيلة التي تحقق تلك الغايات وهو الذي ينتمي بدوره إلى العقل العملي والوسائلي.

ببساطة يتعلق العقلاني بالخيارات الخاصة، الشخصية أو الفئوية، المتعلقة بالمصالح أو الرؤى والعقائد الشاملة لكل طرف، أما المعقول فيعني عند راولز الاستعداد للدخول في علاقات تعاونية مع الآخرين أو امتلاك حسب العدالة بوصفها إنصافا، أو اعترافا بحق الآخرين في الاختيار والتعرف بحرية، وبهذا التمييز ينجح راولز في الفصل بين نظريته في العدالة وبين نظريته في الليبرالية السياسية وإن الليبرالية السياسية وفقا لنظرية راولز لا تستلزم أن تتبنى كافة التيارات السياسية المعقولة أو المشروعة في المجال العام[3]، المنطلقات الليبرالية كخيار عقلاني إنما تدعوا إلى التزام الجميع في المجال العام بمعيار التبدالية.

---

[1]- عبد الله المطيري: جون راولز والديمقراطية التداولية، 2013/11/16، 20:45، https://www.aqwsat.com.

[2]- محمد هدهود، جون راولز في ميدان التحرير، 2016/11/22، 15:33، https://www.aljaziera.net.

[3]- المرجع نفسه.

إن اقتراح راولز الذي يدعوه "منهج التجذب" الذي يحث على البعد سياسيا قدر الإمكان عن الدخول في تناقض مع القيم التي تنتمي إلى مختلف العقائد الشاملة في المجال العام، يخالف موقف تلك القطاعات الحاث على الاشتباك الجذري مع العقائد الدينية للجماهير بحجة ضرورة تحقيق ذلك التنوير م أجل مجال عام ديمقراطي ليبرالي، وهو أيضا موقف تسبب في عزلة تلك القطاعات وعجزها سياسيا، في المقابل تأتي مطالبة راولز بالتحرك في إطار العقل العام ووفق معيار التبادلية[1]، ليفرض على أصحاب الإيديولوجيات الشاملة كالإسلاميين أن يلتزموا في حجاجهم السياسي بتبريرات لا تنطلق من اعتباراتهم الخاصة وإنما من اعتبارات عمومية قدر الإمكان.

2- جون راولز وفكره حول العدالة والديمقراطية والسياسة

أ- العدالة:

لقد كانت العدالة الاجتماعية هاجس المجتمعات الإنسانية عبر العصور، فإنها استقطبت اهتمام الباحثين والمفكرين والفلاسفة خاصة الذين حملوا على عاتقهم مهمة الانخراط في النقاش المجتمعي العام، والذين ينحدرون من مختلف الحقول المعرفية (الفلسفة، والفلسفة السياسية، علم الاجتماع، علم الاقتصاد، والتدبير وغيرهما من الحقول)، لكن هناك بعض الفلاسفة الذين تركوا بصمات قوية على هذا الموضوع لاسيما جون راولز الأمريكي الذي يعد موضوعنا، والذي قدم للبشرية والمجتمعات الديمقراطية خاصة تصور واضح وشامل بخصوص هذه الإشكالية، من خلال ترسانة مفاهيمه مركبة(الوضعية، البدئية، حجاب الجهل التعاقد، المواطنون الأحرار...)[2]، إذ كان له اطلاع واسع على التصورات الفلسفية التي تم تقديمها من قبل الفلاسفة الكبار في الفلسفة اليونانية وقد جاءت نظريته كرد فعل على مجموعة من الأحداث التي شهدها العالم خاصة ما يتعلق بانتهاء القطبية الثنائية والحرب ع.2.

---

[1]- عبد الغني بوسوالك، فلسفة العدالة الكونية عند جون راولز، 2013/12/01، 15:45، https:// www.asip-cerist.dz.

[2]- مراد دياني، حرية مساواة اندماج، اج: نظرية العدالة في النموذج الليبرالي المستدام، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، ط1، يناير 2014، ص 34.

كانت نظرية راولز في العدالة بمثابة إشعار عن عمق أزمة العدالة في الوجدان البشري مما جعل نظريته في العدالة كإنصاف تستقطب اهتمام مختلف الباحثين في الفكر الفلسفي سواءا في الغرب كنقدها برماس لنظرية العدالة أو العالم العربي والمغاربي محمد هاشمي ... إلخ وإن هذا الاهتمام بالنظرية الراولزية لا يعبر بالضرورة عن تأييد لها بقدر ما يعبر عن محاولات لفهمها وتفكيك مرتكزاتها وتطورها أو نقدها[1]، كما فعل هو بخصوص الاتجاه المنفعي، غير أن ما يمكن أن نسلم به في هذا المنحنى هو كون الانتقادات الموجهة لنظرية لا تنقص من القيمة العلمية والفلسفية لنظرية العدالة كإنصاف.

تعتبر نظرية جون راولز في العدالة أول نظرية في العهد الراهن تقدم بناء مفهوميا قويا لتأسيس مرجعية العدالة إضافة إلى أنها تعيد المبحث الأخلاقي إلى الفلسفة الذي انسحب منه بأثر النقد النتشوي الراد يعالي للتصورات الأخلاقية وإقصاء الملفوظات المعيارية من دائرة المعنى في الفلسفات التحليلية التي كانت مهيمنة في السياق الأمريكي، كما أنها نظرية استطاعت أن تطرح لأول مرة منهج جديد جريئا في طرح المسائل الخلفية والسياسية ما زالت الجامعات عبر العالم تحتفي به، كما تعتبر العدالة مشروع مكمل مازال الباحثين يتخذونه موضوعا لأبحاثهم الفلسفية اليوم، كما تعتبر تصور سياسي وليس ميتافيزيقي كما أن راولز لم يستطع التوفيق بين الحرية والمساواة لنزعته الليبرالية[2]، وقد ظهرت نظريته حول العدالة كبديل عن النظرية المنفعية عند هيوم واسميث وبنتام وميل.

ب-الديمقراطية:

ينظر جون ديوي للديمقراطية التربوية على أنها أسلوب من الحياة المجتمعة والخبرة المشتركة المتبادلة، وليست مجرد نظام سياسي أو تطبيق لمفهوم قديم يرجع إلى اليونان، وقد حددها في أشكال عدة، كالمساواة بين الأفراد في المجتمع دون أي تمييز أو إقصاء، تكافؤ الفرص على مستوى التعليم، حرية

[1]- محمد هاشمي، نظرية العدالة عند جون راولز، نحو تعاقد اجتماعي معايير دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2014، ص 48.

[2]- جون راولز، العدالة كإنصاف إعادة صياغة توحيد، الحاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص 41.

الأفراد في الاعتقاد، اشتراك الجميع في الحياة الاجتماعية المعيشية من داخل كل مجتمع وتوفير تعليم متقدم يستجيب لتطلعات القرن الجديد، إن اهتمام جون ديوي للديمقراطية والتربية لم يكن مجانيا أو عبثا، وإنما إيمانه بفاعلية وشجاعة هذا الاختيار[1]، بالإضافة إلى النتائج المثمرة الذي يترتب عنها، إذا بالنسبة له يعني الضامن الوحيد لتربية الأجيال والنهوض بالتعليم بالعالم.

الديمقراطية تؤمن بقيمة الشخصية الإنسانية وبضرورة إعلاء شأنها معتبرة إياها مصدرا للسلطة في الدولة ومرجعا في الحكم، فليس غريبا أن تولي التربية الديمقراطية أهمية كبرى في تعليم الفرد وتثقيفه بوسائل تعمل على تنمية شخصيته ومهاراته في الحياة، فالديمقراطية باهتمام بالشعب قد أدركت حقيقة غائبة في الأنظمة الأخرى، وهي أن هذا الشعب هو أساس الدولة في المستقبل، وعمادها وأن جميع الأفراد سيصبحون مسؤولين كما مصالح معينة يوما ما[2]، فلا يجوز أن يبقى مهملا أو أن نميز بين طبقات المجتمع كما فعل اليونان.

إن فلسفة "جون ديوي" هي فلسفة وديمقراطية بما تحمله الكلمة من معنى فالمفهوم المتعارف عليه للديمقراطية وكما سبق الإشارة إليه أنه حكم الشعب نفسه بنفسه بمعنى أن يدرس المتعلم بنفسه ولنفسه، وأن يشمل التعليم الجميع وما على المعلم سوى التوجيه والقيادة وفق إدارة التلميذ، والمدرسة بالنسبة له هي المختبر الذي يقاس به ديمقراطية مجتمع ما وهي عامل من عوامل رفع الثقافة والرقي بالحضارة وإعداد مواطن الغد، ونشر مبدأ الديمقراطية[3]، كان لفلسفة "جون ديوي" التربوية أثر بعيد في مختلف بقاع العالم وإقبال كبير من طرف العديد من الدارسين والمهتمين بميدان التربية فقد قام بثورة كوبرنيكية جديدة على حساب المدارس التقليدية السائدة في العالم.

---

[1]- حساني محمد، التربية والديمقراطية جون ديوي أنموذجا، 31 أغسطس 2013، https://trabeyawatakin.worp 22:45.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- سيرين الحاج حسين، الفلسفة السياسية لديوي، موسوعة سنافواد للفلسفة، 2018.

ت- **السياسة:**

هناك خلفيتان فكريتان أساسيتان لفلسفة جون ديوي السياسة الأولى عنصر جوهري من الفكر الأخلاقي والسياسي لديوي، وهي تتمثل في الهجوم المثالي والنيوليبرالي على المفردانية المضللة للتقاليد الليبرالية الكلاسيكية، فقد أن ديوي منذ مرحلة مبكرة جدا من مشواره الفكري بأن الليبرالية الكلاسيكية فقد بنيت على تصور خاطئ للفرد، مما نتج عنه تأثير سلبي على الفكر الليبرالي، وقد اتفق في هذا مع المقالي "قرين"، الذي كتب ديوي عنه مقالات عدة، والنيوليبرالي هو بها وعي[1]، وبالتالي فإن العديد من الموضوعات التي ميزت نتاج ديوي الفكري في النظرية الاجتماعية والسياسية بعد انتقاله إلى التجريبية كانت موجودة في فلسفته السياسية المثالية السابقة.

يطرح جون ديوي في بعض النصوص مثل "أخلاق الديمقراطية" و"المسيحية والديمقراطية" جانبا من الانتقادات المثالية للفردانية الليبرالية الكلاسيكية، وفي هذا الجانب تتصور الليبرالية الكلاسيكية الفرد ككيان مستقل منافس مع أفراد آخرين ويأخذ الحياة الاجتماعية والسياسية كمجال يتم فيه هذا التنافس لأجل النفع الذاتي وفي المقابل رفض المثاليون وأتباع النيوليبرالية هذه النظرة للحياة الاجتماعية والسياسية كمجموعة مصالح خاصة متعارضة بطبيعتها، وسهو بدلا من ذلك إلى النظر للأفراد علائقيا[2]، فالفردانية لا يمكن أن تستمر غلا عندما ينظر للحياة الاجتماعية ككائن حيوي تربط فيه سلامة كل جزء فيه بسلامة الكل.

بعد التهجم المثالي والنيوليبرالي على الفردانية عنصر هام للخلفية الفكرية للفلسفة ديوي السياسية، فجب أن تكون هذا كذلك أيضا ضد خلفية مفهوم ديوي الناضج للبحث العلمي، كان رفض "نظرية المتفرج" في معرفة موضوعا أساسيا وتمييزا في إيستمولوجيا ديوي، وقد اعتقد ديوي بأنها

[1]- سوسن الحاج حسين، الفلسفة السياسية لديوي، المرجع السابق، ص 08.

[2]- المرجع نفسه، ص 09.

تهمين على الفلسفة الغربية وقد تم هذا النوع من النظريات رؤية المعرفية على أنها نموذج الملاحظة لشيء ثابت ومستقل كجزء من موضوع ما كان الرصد المعرفي للمتفرج مصحوبا بالبحث عن اليقين في المعرفة[1].

سؤال الفلسفة في السياسة اليوم:

يسعى الباحثون والمحللون السياسيون إلى الوصول لجذور المشاكل السياسية التي تعاني منها البشرية، فمعظم هذه المشكلات اجتماعية كانت أو سياسية جزء منها يرتد جذور تحليله إلى أعماق البحث الفلسفي على مر العصور ومن هنا جاءت المهمة الاستقصائية لمبحث الفلسفة السياسية ونتيجة لتساؤلات جمة حول السياسة اليوم الذي دعانا إلى التنقيب في مبحث الفلسفة السياسية التي تهتم باكتشاف الحكمة والحقيقة المتعلقة بالمبادئ الأصولية للحياة السياسية ومعرفة علاقات هذه المبادئ ببعضها البعض، وعلاقة المبادئ السياسية بمبادئ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية[2]، وبناءا عليه قمنا بطرح السؤال حول مدى توافق الممارسة السياسية مع الأفكار القيم والأخلاق.

إن الأخلاق والسياسة ضروريان معا إذ نحن اليوم بحاجة إلى الأخلاق معيارا للسلوك وبحاجة للسياسة تدبيرا للشأن العام وتسيير شؤون الدولة أن يفوتنا هو أنهما مختلفان ومتمايزان، وإننا سنفسد ما هو جوهري، فيهما إذا ما وقعنا في آفة الخلط بينهما، فنحن بحاجة إذا إلى أخلاق لا تقبل الاختزال إلى سياسة معينة، ولكننا أيضا في أمس الحاجة إلى سياسة لا تقيل الأخلاق ينبغي أن تقوم مقام السياسة.

أن الفلسفة السياسية المعاصرة تتجاذبها مواضيع ومنازع والمواضيع الأساسية هي المساواة والليبرالية، ونظرية المواطنة والمنازع هي المنزع النفعي والمنزع الحراني والمنزع الجماعي والمنزع الجمهوري المدني والتعددي الثقافي والمنزع الماركسي والمنزع النسائي، على أساس أنه يمكن هذا النزعة الماركسية والجماعية

[1]- غازي العوراني، جون ديوي، 2021/02/10، 15:45، https://m.ahewar.org.

[2]- إسماعيل إيمان، الفلسفة السياسية بين الأخلاق والسياسة 17:54، 2021/09/19، https://bibliotheque.mist.ma.

والنزعة النسائية والجمهورية المدنية والتعددية الثقافية بمثابة مدارس جامعية سياسية نقدية تشكل التيار الأعظم للمناهض للنظريات الديمقراطية الليبرالية[1].

اليوم بعد مضي أزيد من عشرين سنة على صدور هذا الكتاب الجماعة بدأ مشهد الفلسفة السياسية يتغير بعض التغير أمسنا أمام موضوعات جديدة ما كان يخطر ببال الفلاسفة السياسيين منذ نصف القرن أنها سوف تمسي من اختصاصهم "الهجرة"، "التعذيب"، "المراقبة والتكنولوجيا الفائقة"، "الإرهاب"[2]، إن حقل الفلسفة السياسية حقل واسع من البحث، ذو تاريخ عميق مديد، مشكل من جملة مسائل شائكة دائرة على المشروعية وبني الدولة الأساسية ودور المواطن.

[1]- المرجع نفسه.

[2]- محمد شيخ، قراءة في كتاب دليل بلوم سبوري إلى الفلسفة السياسية، 16 أغسطس 2019، الساعة 02:39، https://alroya.oun.

المبحث الثاني: معيقات الديمقراطية (انحرافات وعيوب الديمقراطية عند توكفيل)

1- الوجه الآخر للديمقراطية عند دو توكفيل:

بعد محاولتنا بالإحاطة بطبيعة الديمقراطية وتبين حركتها عند توكفيل بالاعتماد على الحالة الاجتماعية من خلال تفاعل الأفراد حيالها ننطلق اليوم إلى الكشف عن أهم الانحرافات وأخطر الأمراض والعيوب التي استنتجها فيلسوفنا توكفيل ألكسيس من الحالة الاجتماعية فهي الجانب المكمل للديمقراطية مع المساواة المنظمة لحقوق الأفراد وحرياتهم في المجتمع الديمقراطي وعله أطرح التساؤل التالي: "في إطار تحقيق الديمقراطية لأهداف سامية قد انحرفت عن مسارها في سبيل تحقيق ذلك فما هي عيوب وأمراض الديمقراطية؟ وفيما تمثلت انحرافات الديمقراطية؟"

إن إفترضات توكفيل حول جدلية المساواة والحرية شكلت على العموم أهم مخاوف توكفيل خصوصا أن المساواة في ازدياد وتقدمها أمر حتمي في كل أرجاء العالم المحتضر بينما الحرية بالرغم من أنها على أعلى قدر من الأهمية بالنسبة للإنسانية إلا أن بقاءها في خضم ظروف المساواة الديمقراطية يبقى أمرا مشكوكا فيه، بالنظر كما رأينا إلى طبيعة الديمقراطية الضعيفة، واعتمادا على كل هذا يستخلص توكفيل عواقب سياسية خطيرة يعزوها إلى المساواة المتنامية بشكل إنحرافي على حساب الحرية خاصة في أوروبا وفقا للنزعة الليبرالية التي ينتمي إليها توكفيل الممجدة للحرية[1]، أثار هذا الأخير مشكلة جوهرية يرى أن الديمقراطية الحديثة تتخبط فيها وتتمثل في التعارض الطبيعي من المساواة والحرية، ذلك أن المساواة الديمقراطية تشكل تهديدا صارخا للحرية نظرا لإفتتان الإنان وتمسكه بها.

وفي تحليل توكفيل لمشكلة الديمقراطية الحديثة تبين لتوكفيل جملة من الأمراض الخطيرة الضاربة بجذورها في عمق الديمقراطية الحديثة ومن بينها نجد:

1)- **الفردانية:** تعد الرغبة العارمة في الرفاهية المادية والبحث الدائم عن أقصر طريق لتليينها قصد بلوغ سقف المساواة في الظروف من خلال الحالة الاجتماعية هو الذي شكل الطابع المميز للإنسان في عصر

[1]- الكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ج2، المصدر السابق، ص 109.

الديمقراطية، حيث وفقا لمقتضيات هذه الحالة الاجتماعية المستندة على منطق المساواة في الظروف حدد الإنسان لنفسه وبطريقة إرادية مجال نشاطاته اليومية فحصر إرادته في دائرة ضيقة خاصة[1]، من هذا المنطلق يقر توكفيل بوجود علاقة سببية بين تزايد نمو حركة السوية في الظروف وزوال الروابط الاجتماعية وهذه السيرورة المتنامية للمساواة الحديثة وشغف الإنسان بها ولدت ظاهرة الفردانية التي يعتبرها توكفيل إحدى الأمراض الخاصة المميزة للحالة السياسية.

يعتبر توكفيل لفظة الفردانية حديثة النشأة، فيرجعها إلى أصل ديمقراطي بعدما أعطى لها دلالة خاصة ليخدم مفهومه للديمقراطية في عموميته ولهذا الغرض ميز بينها وبين الأنانية، إذ يرى أن الأنانية خاصية ذات طابع أنترويولوجي أخلاقي ترتبط بالإنسان وطبيعته حيث تعني "محبة المرء لنفسه حبا عارما مسرفا يجعل صاحبه يربط كل شيء بذاته هو"، فهي بهذا المعنى رذيلة تصب في مجال الأخلاق كما هو وضعها الأخلاقيون الكلاسيكيون، وكذلك روسو تولدت من غريزة عمياء كامنة في طبيعة إنسانية سقيمة منحطة، أما الفردانية فهي خاصية ذات طابع سياسي اجتماعي تخص المواطن أكثر مما تخص الفرد في علاقته مع المجتمع الذي يعيش فيه، وهي لا تقترن إلا بالمجتمعات الحديثة الديمقراطية[2]، وفي هذا المسعى يعد التمييز الذي أقامه توكفيل بين الفردانية والأنانية جوهريا، حيث من خلاله تتضح لنا الصورة الخالصة التي رسمها بغية الإحاطة بظاهرة الفردانية، إذ تشير في معناها التوكفيلي الخاص إلى طريقة في الحياة اختارها الأفراد طوعية بالنظر على أنها النهج الأمثل لعزل أنفسهم عن التعددية الهائلة داخل المجتمع.

على هذا الأساس يمكن القول أن الفردانية نتاج لحكم خاطئ، ويعني أنها في المقام الأول موقف فكري، من خلاله حاول الفرد أما الظروف الاجتماعية التي تفرزها المساواة الحديثة أن يثبت ذاته بذاته، وبالتالي يحقق استقلاليته، وكرد فعل منه اختار الفرد الانفصال عن بني جنسه، فينتبذهم هو وأسرته وأصدقائه، ثم بعد أن يكون لنفسه هكذا مجتمعا خطيرا خاصا إذا به يدع المجتمع الكبير وشأنه راضيا

[1]- الكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ج2، المصدر السابق، ص 110.

[2]- ليوشتراوس وعروبس جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 421.

مختارا[1]، بناء على هذا كله يعتبر توكفيل أن الفردانية لفظا وممارسة ظاهرة اجتماعية سياسية جديدة خاصة بالمجتمعات الديمقراطية، ولم تشهد الأرستقراطية القديمة ظاهرة الفردانية مثلما شهدتها الديمقراطية الحديثة، ويرجع ذلك في نظر توكفيل إلى طبيعة بنية حالتها الاجتماعية الثانية القائمة على منطق التفاوت والتمايز الوراثي الثابت.

وفضلا عن ذلك يرى توكفيل أن الانتماء إلى هذه التنظيمات كان في الأساس الحاجز المنيع لظهور الفردانية في المجتمعات الأرستقراطية، فالإنسان يعد كعضو وليس كفرد في هذه التنظيمات، ومن ثم سمحت الهرمية الاجتماعية بلم جهود مختلف الهيئات عبر تكاتف جهود عناصرها لتشكل الصورة الكلية بلغة هيجل أي الوحدة العضوية للمجتمع الأرستقراطي، إذ رغم التمايز والاختلاف في وظيفة كل طبقة، إلا أن كل عضو فيها يخضع إلى جملة من الواجبات حيال أعضاء الطبقات الأخرى، كما أن عضوية الإنسان إلى هذه التراتبية جعلته كمن جهة يجمع بين مصلحة أسرته ومصلحة طبقته باعتباره عضوا فيهما، ومن ناحية أخرى حصلته يولي احتراما بالغا لعادات عرف وأخلاق مجتمعه الموروثة من أجداد[2]، بذلك استطاعت الرستقراطية رغم تمايز بنياتها الاجتماعية أن تحقق الوحدة العضوية الشاملة لكل عناصرها وأن تجمع بين مختلف الأجيال، لقد صاغت سلسلة من جميع أعضاء المجتمع يبدأ من الفلاح وتنتهي بالملك.

أما المجتمع الديمقراطي فهو يفتقر لهذه التنظيمات وهو غياب مقرون، كما رأينا بالتجديدات التي أحدثها المساواة في الظروف التي قامت بتعديل الأحوال الاجتماعية، فأزالت الظروف الفردية الطبقية وهدمت التراتبية الاجتماعية وقد نتج ذلك عن الإنسان الجديد أو بالأحرى فرد مستقل لا يرتبط بأي انتماء، ولا يتحدد بأي هيأة أو تنظيم، فبالموازات مع التسوية في الظروف الاجتماعية أصبح الفرد الوحدة الأولية في المجتمع الديمقراطي فهو ليس عضوا فيها، أو عنصرا يضمه الكل الذي هو المجتمع بل

[1]- ليوشتراوس وعروبس جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 422.

[2]- ألبكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المرجع السابق، ص 109.

هو الكل في حد ذاته فالمساواة الديمقراطية حطمت هذه السلسلة وفصلت كل حلقة عن الأخرى[1]، بناءا على هذا الأمر يمكن القول أن الديمقراطية تحمل بذور فنائها في ذاتها وذلك من خلال القيمة التي تتأسس لقد عملت المساواة الديمقراطية على تفتيت المجتمع وعزل الأفراد من الناحيتين، من ناحية المكان (حصر الفرد ذاته في مجاله الخاص) وناحية الزمان (إحداث قطيعة مع كل ما هو قديم ليحصر ذاته في حاضره مستبعدا بذلك موروث أجداده من تقاليد والعادات).

وعند إمعان النظر في الصورة التي رسمها توكفيل للفردانية الديمقراطية تتبدى لنا التهديدات التي يمارسها هذا المرض في كيان المجتمعات الديمقراطية إذ يعتبرها بعدم تكافئ في الاهتمام بين الحالة الاجتماعية والحالة السياسية وهو عدم تكافئ يعود إلى الصراع بين المساواة والحرية، فقد تفاعل الفرد مع الظروف الجديدة للحالة الاجتماعية المفرزة من قبل المساواة الديمقراطية، فحين لم تخص الحياة السياسة بأي قدر من الاهتمام من طرفه فإنه بلغة ماركيوز إنسان ذو البعد الواحد اختزل واستثمر كل جهوده في الحالة الاجتماعية، فانطواء وتقوقع مع نفسه في مجاله الخاص بينما ترك المحال العام والشأن السياسي لتتكفل به الحكومة[2]، بناءا على هذا الأمر استنتاج توكفيل أن عزوف الفرد –المواطن– من الشأن العام وعدم مبالاته ولا مسؤولية اتجاه الأمور السياسية العامة، تعد انعكاسات أمنية لنزعته الفردية المتولدة من الحياة الاجتماعية الديمقراطية.

وعليه ينظر توكفيل إلى الفردانية على أنها مبدأ صدأ المجتمعات الديمقراطية والتي تهدد كيانها لاسيما الرابط المكون لنسيج الاجتماعي، حيث يرى توكفيل في هذا السياق أن الفردانية مزقت النسيج الاجتماعي فحولت المجتمع إلى ذرات وشظايا وصار فيها الأفراد غرباء عن بعضهم البعض فالرغبة في بلوغ سقف المساواة في الظروف بأي شكل من الأشكال ألغى الطابع الاجتماعي للديمقراطية، وأعدم منظومة الحاجة المتبادلة والتعاون المشترك المعروف في المجتمع الإقطاعي القديم وفي هذا الإطار يحذر

[1]– ألبكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المرجع السابق، ص 330.

[2]– مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 174.

توكفيل من التوجه الأعمى للنزعة الفردانية المتنامية والتي يمكن أن تتطور في نهاية الأمر لتهدم سائر الفضائل وتقضي عليها فبعدما أفرغت المواطن من كل حس مدني وذلك بالقضاء على الفضائل المتعلقة بالحياة العامة[1]، ليمتد هذا المرض ليصبح أساسا لصيغة من الأنانية المتمركزة حول الذات وبالتالي تتحول الفردانية من مرض اجتماعي سياسي إلى أزمة ذات طابع أخلاقي تضرب بجذورها في روح الإنسانية عامة لتفقدها أعلى قيمها سموا.

2)- التماثلية الفكرية:

إذا كانت النزعة الفردانية كما رأيناها موقف فكري ونهج في الحياة اتخذه القرار الفرد المواطن لحماية كل من مصلحته الخاصة وحريته الفردية، فإن الرغبة في المساواة أفرزت أيضا في بعدها الفكري الثقافي في توجها آخرا يتقاطع مع توجهها الأول، وعبر هذا التقاطع تتبدى أيضا اللعبة الجدلية المتضمنة للتعارض الطبيعي بين المساواة والحرية، التي شكلت لب تعاليم توكفيل عن الديمقراطية الحديثة، فبعدما توصل الأفراد في الحالة الاجتماعية إلى تشويه الظروف والقضاء على كل الامتيازات الاجتماعية المنسوبة إلى النظام القديم[2]، حاول الأفراد المواطنون السير على قدم وساق في هذا التوجه المعمم للمساواة أو ذلك قصد هدم كل أنواع الاختلاف لاسيما الاختلاف الفكري الذي يمثل عندهم بالبقايا المزعجة الأرستقراطية القديمة.

وقد نتج عن محاولة التحاق الأفراد بركب المساواة في المجال الفكري الثقافي ظهور مرض خطير يهدد أعرف أشكال الحرية، وهي الحرية الفكرية والتي لطالما انتقلت من كل قيد، حتى في زمن الاستبداد الملكي المطلق، ويمثل هذا المرض في التماثلية الفكرية الداعية لتسوية عامة في القذارات والعقلية، وكان من الممكن في نظر توكفيل أن تتخذ الرغبة في التسوية في المجال الفكري صورتين متباعدتين من الناحية السياسية الاجتماعية الأولى ولم سامي رجولي، يحاول أن يدفع الجميع ليكونوا أقوياء محترمين ويرفعهم إلى

[1]- ليوشتراوس وعروبس جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 422.

[2]- ألكسي سدي توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المصدر السابق، ص 107.

مرتبة العظماء والثانية شغف فاسد للمساواة يحاول عبره الضعفاء جلب الأقوياء المستنرين لجعلهم متساوين لهم في الذل والعبودية[1]، ويوضح توكفيل أنه إذا هيمن الشغف الأول فإن حصة الحرية داخل.

لقد أقنع الفرد المواطن بمفاتن المساواة خلال منجزاتها على صعيد الحالة الاجتماعية فشعر بمزاياها بصورة مباشرة لأنها ملموسة لا تحتاج إلى جهد فهي في متناول الجميع حتى بالنسبة لذوي القذورات الوضعية، في حين أن الحرية لاسيما الفكرية تحتاج إلى جهود وتيقظ لإرسالها، إذ من الصعب ممارستها وتجسيدها، فهي تستدعي التزاما ومسؤولية ومن السهل ضياعها، كما أن الفوضى والاضطرابات تعد نواتج تجاوزت لحرية التي تهدد الاستقرار والأمن[2]، بالتالي تهدد المساواة في الظروف، هذا ما جعل أفكار مشاعر وعواطف الأفراد، حسب توكفيل، تقدم المساواة ونفضلها على الحرية، فميل الناس إلى الحرية وميلهم إلى المساواة هما شيئان مميزان لأنهما في الواقع يعدان في الأمم الديمقراطية شيئين غير متساويين ومن الممكن أن يصل بالأفراد أكثر من ذلك في نظر توكفيل، فقد يطالبون بالمساواة في الحرية وفق لم يحصلوا عليها ظلوا يطالبونها في العبودية.

من خلال عرضنا لهذه المعاينة التوكفيلية المتمثلة في التماثلية الفكرية، باتت لنا أن هذه الأخيرة تتضمن في طياتها النزعة المحافظة في صورة جديدة يميل عبرها.الأفراد إلى حماية المساواة وضمانها من تجاوزات الحرية حيث يتجه الشغف بالمساواة إلى خلق جو سياسي يضمن استقرارها و نموها، بأي شكل من الأشكال فميل الديمقراطية الحديثة إلى خلق أنداد متماثلين متساوين من الناحية الفكرية الثقافية، بعدما حققوا أو اقتربوا من المساواة في الظروف الاجتماعية [3]، كانت الغاية منه تحقيق أو الوصول إلى نوع من الإجماع في الرأي وتفادي الصراع والاضطراب الناجمة عن الاختلافات والتمايزات الكامنة في

[1]- ألكسيس دي توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المصدر السابق، ج2، ص 354.

[2]- ليوستراوس وكروبس جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 425.

[3]- المرجع نفسه ص 424.

المجال الفكري وقصد تحقيق الإجماع هيأ الشغف المساوين الأرضية لهذا الغرض و ذلك عن طريق انتهاج بعدة التغييرات على مستوى البنية الفكرية الثقافية بغية توحيدها و إعطائها بعد عالميا شاملا.

ومن أبرز هذه التغييرات المنطوية في هذا الوسطى الغريزي التأثير التجديدي الممارس على اللغة الحديثة، باعتبارها في نظر توكفيل الصورة الخارجية للفكر، إذ وجهت اللغة في عصر الديمقراطية وفصلت على المقياس المنطق التوجه الغريزي للمساواة المسيطرة وعليه استحضرت اللغة الحديثة أدوات الجديدة ذات ألفاظ عامة مجردة تتعامل مع الإنسان والمجتمع باعتبارهما العامة، كون الصبغة التجريدية تساير رغبتهم في التسوية بين الأفراد، حيث تفوض التمايزات الفكرية لبعضهم، كما تعوض ضعف بعضهم الآخر إنها تفي بالفرض بكونها في نظر توكفيل تخلق وسطية في الميدان الفكري[1]، ومن ثم فهذه الوسطية تعفي العقل عموما، القاصر والمستنير من الخوض في الحالات الجزئية المتشبعة التي تستدعي القدرات الفكرية الكبيرة وثقافة معرفية واسعة، فالصيغة العامة المجردة على حد قول توكفيل توسع الأفكار المراد التعبير عنها لتشمل على أشياء كثيرة في حيز صغير.

العظمة الإنسانية واستبداد الديمقراطية:

في نهاية عمل توكفيل عن الديمقراطية، كشف النقاب عن النشر السياسي الذي تميل الديمقراطية على نحو طبيعي باتجاهه و يمثل القمة مخاوفه فيما يتعلق بالديمقراطية وقد غير عنه أكثر من مرة يتمثل هذا النشر السياسي في تسلط المساواة الديمقراطية على الحرية الديمقراطية هنا يطلق على هذا الشر (الاستبداد الهادئ)، وفي مواضع أخرى أطلق عليه استبداد الديمقراطية أو استبداد الإدارة إنه شر جذاب وليس مزعجا، ناعم وسلبي، بروبيدا حتى في الظاهر مقيدا[2]، وقد أصبح بالنسبة إلى توكفيل مصدر خوفه الأساسي وليس استبداد الأغلبية الذي كان يتسم بالخشونة والتعسف كما تمثل في استبداد السوء في أمريكا.

---

[1]- نور بن ألين، ص الديمقراطية، تر: عبود كسوحة منشورات وزارة الثقافة، دمق، ط1، 2000، ص 145.

[2]- المرجع نفسه، ص 145.

الاستبداد الهادئ هذا ليس حتمي ويمكن معارضته في أي نظام ديمقراطي، وهناك قوة مضادة له في الطبيعة الإنسانية، وقد بدأ توكفيل في القسم الخير من كتابه نقاشا مضادة أن المساواة تعطي الإنسان على نحو طبيعي رغبة في وجود مؤسسات الحرية وليس في الاستبداد فهي بحسب قوله تجعله مستقلا عن الآخرين أو من ثم متشككا من السلطة وميالا لأتباع إرادته وليس غرادة أحد غيره، وهي تؤدي إلى نوع من العناء وهو الرغبة الواعية في التحرر تذكرنا بالجزء النشط من الروح عند أفلاطون روح الحياة، وهذا مفيد للإصرار الديمقراطي على الحرية[1]، هذا العناء متناقضا مع ولع الأمريكين بتكوين الجمعيات، وربما يكون كذلك بالفعل لكن رفضهم السلبي للتعاون مع الآخرين يمكن جعله مسؤولا عندما يحدد الناس المنفعة والمكانة في تنفيذ مهمة ما.

بينما تميل كل الشعوب الديمقراطية نحو الاعتماد على الدولة فإن الدولة من جانبها تحب المساواة وتحاول التوسع فيها قدر إمكانها، تعود جذور الدولة الحديثة إلى النظم الملكية في أوروبا التي اتبعت سياسة التحالف مع الشعب ضد الطبقة الأرستقراطية حيث تخلصت تدريجيا من أفرادها الموجودين في حكومات البارونات والنبلاء، وتحولت للإدارة المركزية للدولة، وعندما حلت الديمقراطية محل الملكية أثناء الثورة الفرنسية ظلت الدولة كما هي واستمرت في استحواذ على كل السلطات لنفسها، وحل عداؤها الجديد لتكوين الجمعيات محل الغيرة الملكية من الطبقة الأرستقراطية[2]، ومن ثم فإن الدولة المركزية تحب المساواة التي يحبها المواطنون الديمقراطيون وتكره تلك التي يكرهونها، فالطرفان يقوى كل منهما الآخر على نحو متبادل، الدولة تقوى باستمرار من سلطتها في حين يفقد شعب سلطاته باستمرار.

ومن ثم فإن الاستبداد الذي يجب أن تخشاه الأمم الديمقراطية هادئ في طبيعة فعلى الرغم من أنه لا يحبط رغباتهم، فهو يرضي أسوء ما فيهم، وأسوء رغبة في الديمقراطية هي التخلي عن الإحساس

[1]– غيوم سيبرتام، الفلسفة السياسية في القرن 19 و20، تر: عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011، ص 56.

[2]– غيوم سيبرتام، الفلسفة السياسية في القرن 19 و20، المرجع السابق، ص 57.

بالفقر الذي يدعم استقلالية الفرد وضياع الحرية مما يحط من شأن الشعب دون أن يعرضهم لتعذيب، ودون أن يثير معارضتهم أو حتى يشعرهم بما فقدوه، وهكذا يصبح الشعب حشدا من الأفراد المتشابهين والمتساوين... الذين يحصلون على المتع الصغيرة والعادية التي يملئون بها أرواحهم، فكل منهم منعزل ومنزو، ويفتخر وجوده على نفسه ويعيش فقط لنفسه[1]، وتسيطر على الأفراد سلطة وصائية كبيرة ترعاهم بأسلوب ناظر المدرسة أو الوصي وتوفر عليهم بحسب تعبير توكفيل بسخرية شديدة عناء التفكير وألم العيش، وقد سبق توكفيل نبشه في وضعهم بأنهم قطيع من الحيوانات المتأنسة والكادحة التي تقوم الحكومة على رعايتها.

هناك حقائق عرضية معينة، بحسب اعتراف توكفيل يمكن أن تزيد أو تقلل من الاتجاه نحو مركزية الإدارة على سبيل المثال عدم حدوث ثورة ديمقراطية في أمريكا ولأن أمريكا لم تكن مرغمة على القيام بثورة ديمقراطية ضد النظام الأرستقراطي حتى تدعم حريتها، وقد قرب نهاية كتابه[2]، ذكر توكفيل أن هناك ثلاث سمات للمساواة تحتاج الشعوب الديمقراطية أن تحترس منها تتمثل الأولى في فائدة النظم التي نوقشت بالفعل، وهناك غريزة ديمقراطية ثانية وهي أيضا طبيعية جدا أو يعتقد بوجه عام أنها خطيرة جدا، وتتمثل في احتقار الحقوق الفردية والتضحية بها من أجل مصالح وقوة المجتمع.

أضاف توكفيل للأمرين السابقين قلقه من حدوث ثورات في المجتمعات الديمقراطية وهو قلق ربما يكون أكثر حدة فيما يتعلق بأوروبا مقارنة بأمريكا، فحيث أن الديمقراطية يحبون التغيير، يمكن أن تصبح الثورة عادة بل قد يتم أيضا تفنينها في سياسة الحكم، لم يذكر توكفيل أن الثورة أحيانا تكون أمينة ومشروعة لكنه اعتقد أنها علاج خطير على نحو خاص في العهود الديمقراطية، تحدث قبل ذلك عن سبب ندرة الثورات العظيمة مثل الثورة ضد الديمقراطية، قائلا أنه كان يخاف جمود الطبقة الوسطى أكثر

[1] – غيوم سيبرتام، الفلسفة السياسية في القرن 19 و20، المرجع السابق، ص 60.

[2] – هارفي سي مانسفيلد، توكفيل مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 61.

من تمردها العنيف الذي يحدث غالبا في النظم الديمقراطية[1]، لكن الجمود في الديمقراطية يتوافق مع الاضطراب العام المتدني الناتج عن الطموح العادي والتنافس على المنح المادية.

عيوب النظام الديمقراطي:

هناك انتقادات وجهت إلى الديمقراطية، فهي كأي نظام لا تخلوا من العيوب والانتقادات وتتمثل في الآتي:

1- يرى أنصار الحكم الفردي أن الأمة عاجزة عن حكم لغتها ولا يمكن بالتالي أن تتولى السيادة إلا قوة واحدة.

2- ليست الديمقراطية فعلا حكم الشعب كله مباشرة وحتى في صورتها النيابية ليست هي حكم الشعب كله بطريق النيابة بل وليست محققة حكم الغالبية.

3- الديمقراطية تضع مقاليد الحكم في أيدي عامة الشعب وهي طبقة فوضوية جاهلة بأساليب الحكم، وليس عندها استعداد طبيعي له[2].

4- عدم وجود علاقة دائمة بين النائب ومرشحيه، وعدم دفاع النائب عن حقوق مرشحيه أو دائرته بحجة أنه يمثل ويعبر عن مصالح الشعب ككل.

5- يؤخذ على نظام الحكم الديمقراطي كثرة إجراء الانتخابات، وقصر مدة الحكم وسرعة تبادل المراكز الرئيسة في الدولة ومن أثار هذا كله تعطل الأعمال الحكومية.

6- توزع الديمقراطية المسؤولية إلى درجة تقربها من العدم، فترى النائب مثلا لا يقول أنا أخطأت، وإنما يقول عادة أخطأنا ملقيا العبء على جمهور الناخبين.

---

[1]- هارفي سي مانسفيلد، توكفيل مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 62.

[2]- المرجع نفسه، ص 63.

7- الديمقراطية لكونها لا تستقيم إلا بوجود أحزاب متعارضة، تعتبر أداة انقسام في البلاد ومجلبة للضغائن والأحقاد[1].

8- الديمقراطية الحقيقية في بعض الدول التي تطبق الأسلوب الليبرالي إذ أنها تعتمد على التعددية الحزبية، وهذه الأحزاب السياسية ليست بالتأكيد منسجمة في تنظيمها مع الديمقراطية الحقيقية.

9- إن صلحت الديمقراطية للحكم في الظروف العادية فهي لا تصلح له في أوقات الأزمات أي حيث يختل التوازن بين القوى السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

10- لا تهتم الديمقراطية بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فتعمل مبدأ التخصص، وفي هذا خطر كبير وسر مستطير، إذ لا يمكن أن يؤدي العمل بإتقان من لا يعرفه[2].

[1]- ألكسيس دي توكفيل، الديمقراطية في أمريكا ، المصدر السابق، ج1، ص 356.

[2]- المصدر نفسه، ص 357.

المبحث الثالث: نقد توكفيل للفلاسفة الذين سبقوه (فلسفة السياسية الديمقراطية)

إن تركيز توكفيل على طبيعة النظام والمؤسسات السياسية جعلته يثاى عن الإرث الذي راكمته البيولوجية الفرنسية منذ أوغست كونت التي انحصرت في البحث عن النبى الاجتماعية، الشيء الذي جعل اسم توكفيل. على حد تعبير. أروت دائما يبهت أمام لائحة باقي المفكرين العظام. على رغم انتشاره الواسع في الولايات المتحدة الأمريكية، ة التي ألف حولها عتابا رضينا مازال يسيل الكثير من المداد سماه الديمقراطية في أمريكا[1]، في هذا الصدد يتساءل كل من بودور وبوريكو بنوع من الإحباط إذا لم يكن توكفيل ضحية لمنهجة المعتمد على الملاحظة والتأمل الدقيقتين و الثاقبين في احترام تام للمسافة اللازمة بين الباحث و موضوع دراسته بعيدا عن كل نزعة راديكالية أو نبؤة تبشيرية تجعل منه. مؤسسا لطائفة دينية أو عقدية.

اتضح أن هناك أنصارا مزعومين للديمقراطية يستخدمون الكلمة بطريقة مختلفة، فهم يعتقدون أن البشر لا يوجد أمامهم خيار سوى الإذعان لقوى كبيرة. غير محددة تحدد حياتهم وتسلبهم إمكانية التحرك الفكري الطوعي الواعي باتجاه الحرية الديمقراطية باعتبارها الهدف ولكن من هم هؤلاء الأشخاص، وصف توكفيل نوعين من المفكرين كان يرى أنهما يضران بالديمقراطية وهما أنصار الوحدانية (مذهب وحدة الوجود) والمؤرخون الديمقراطيون[2]، لكنه في بداية النقاش خص شخصا واحدا يتناول منفرد وهو الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت الذي ظهر في القرن السابع عشر" قال إن الأمريكيون يعطون اهتماما أقل للفلسفة مقارنة بأي مكان آخر في العالم المتحضر غير أنهم جميعا يستخدمون منهجا واحدا في التعامل مع المسائل الفكرية يقوم على الجهد والحكم.

[1]– ألكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا،

[2]– تسلودين أس فولن، توكفيل، بين عالمين اجتراح حياة سياسية ونظرية، تر: فاضل جتكر، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 456.

وهو نفس المنهج الذي دعا إليه ديكارت، فأفكاره هي الأقل دراسة ولكن الأكثر إتباعا في أمريكا، كما أن الحالة الاجتماعية الديمقراطية للأمريكيين تبعدهم عن الفلسفة وتجعلهم يميلون لتبني أفكار ديكارت، ففي تلك الحالة لا يلتزم الناس بالعرف ولا يتقبلون رأي طبقة معينة، فحيث أنهم لا يرون أن هناك من أهم أعلى مكانة منهم، فإنهم لا يثقون إلا بأنفسهم[1]، ويعرض كتاب توكفيل وجهه نظر غريبة بشأن ديكارت الذي لا يعد عادة فيلسوفا سياسيا، وهو بالتأكيد ليس من دعاة الديمقراطية حيث يعلن توكفيل من خلالها أن ديكارت هو من وضع دون أن يقصد المنهج (وهو مصطلح خاص بديكارت) الديمقراطي وهو يعرض هنا وجهة نظر غريبة أخرى عن الأمريكيين وهي أنهم متأثرون بشدة بفيلسوف فرنسي لم يقرا أي منهم شيئا من أعماله.

أن ديكارت الذي يعد أشهر جهوده هو تحدي السلطة أصبح هو نفسه سلطة ومرجعية في أمريكا في كل شيء ما عدا اسمه، فهجومه على السلطة أصبح مرجعية تبرر سيادة الفرد من الصعب تحديد ما إذا كان توكفيل قد جعل ديكارت أو المفكرين الأمريكيين الجهلاء به يبدون أكثر سخافة أم لا، فلسفة ديكارت القائمة على أفكار واضحة ومميزة تستخلص منها السيادة الخرقاء لكل الأمريكيين غير المهتمين أصلا بالفلسفة ، الذين يعرفون على نحو أساسي ما يعرفه دون الحادة إلى قراءة أعماله غير أن الأمريكيين يخلعون بشكل عبثي سلطة على أشخاص معينين في الوقت الذي كان يجب أن يتعامل معهم فيه بارتياب، إذا كانوا يتبعون بحق منهج ديكارت، وفي ظل الابتذال والتناقض.

لتفسير العقل الديمقراطي، تأمل توكفيل الطبيعة، الوضع الإنساني، فكل الحركة الفكرية في مقابل الحركات الفطرية والتلقائية تحتاج الاستخدام الفرد عقله، واستخدام الفرد عقله في الشك في صحة ما يقال له لكن إذا كان التفكير يتضمن إنتاج فعل فيجب أن يكتب شكوكه فلا يوجد فرد لديه الوقت للتفكير في كل شيء بنفسه أو القدرة على ذلك ولا يمكن لمجتمع أن يستمر دون وجود أفكار وأفكار

[1]– تسلودين أس فولن، توكفيل، بين عالمين اجتراح حياة سياسية ونظرية، تر: فاضل جتكر، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 455.

متنوعة مشتركة وحتى الفيلسوف يجب أن يضع افتراضات لأنه لا يستطيع التفكير في كل الجوانب المتعلقة بكل أمر.

قام توكفيل بعد ذلك بتحول سهل من الحاجة إلى سلطة إلى الحاجة إلى الإيمان حيث أن كلا من المجتمع والفرد يجب أن يقبلا وجود أساس أولي قائم على الإيمان الذي هو في حقيقة الأمر نوع من العبودية، لكنها عبودية محمودة وضرورية، بالغ كل من ديكارت والحالة الاجتماعية الديمقراطية التي تردد صدى' فلسفة في تقدير سلطة العقل البشري فلا يمكن للعقل أن يحل محل السلطة ويؤسس استقلالية الفرد فحسب رأيه كل ما يمكن للعقل الإنساني أن يفعله هو تغيير السلطة الارستقراطية إلى السلطة الديمقراطية، وهو يستطيع أن يفعل ذلك.

فالإنسان ليس حرا بطبيعته "حرا على نحو كامل" بداية من الوضع الذي لم تكن توجد فيه أي سلطة كما افترض كل من هو بزولوك ،فالديمقراطية لا تنشا من الحالة الطبيعية التي لا يوجد في ظلها أي سلطة، وإنما تنشا على يد ديمقراطيين ينكرون سلطة أي شخص أو طبقة عليهم، و بقيامهم بهذا يشعر كل منهم بالفخر بالمساواة بينه وبين الآخرين، غير أن كلا منهم في الوقت نفسه يغلبه شعور بالضعف الضالة مقارنة بالكيان العظيم المتمثل في مجموع الآخرين[1]، لذا فإن السلطة الديمقراطية لها تأثيران متناقضان على العقل، جلب أفكار جديدة إليه متعلقة بإنكار الأعراف والتقاليد وفي الوقت نفسه حثه على التخلي عن التفكير في مواجهة الرأي العام.

استنادا إلى الحاجة على الإيمان أشار توكفيل إلى أن العقل الديمقراطي يحب التعميم وهذه نقطة ضعف في اعتقاده فالرب الذي يعرف كل الأمور المتشابهة والمختلفة ليس بحاجة إلى أفكار عامة، لكن الإنسان يحتاج إلى الاستفادة من جميع الأشياء المتشابهة معا في فئة واحدة، والأمريكيون يبدون اهتماما بالأفكار العامة أكبر من اهتمام أسلافهم الإنجليز الذين يمثلون الماضي الأرستقراطي الإنجليزي لأمريكا،

[1]– عبد العزيز السعداين، ألكيس دونوكفيلو نقد الوضع الديمقراطي من تدني الأخلاقي إلى تفشي الاستبداد، مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 11 يونيو 2017، ص 2، 3.

وذلك في مقابل من كانوا يمثلون نقطة انطلاق نحو الديمقراطية أوهم البيوريتاريون. الذين كانوا يعارضون النظام الأرستقراطي الإنجليزي[1]، إن الأرستقراطيين لديهم عون عزيزي للتعميمات حيث أنهم يفضلون التفكير في شخص واحد أو مجموعة قليلة من الأشخاص في المرة الواحدة لكن الديمقراطيون لديهم شغف مندفع وكسول لعمل تلك التهيمات، لأنهم ينطلقون من الحقيقة الواضحة بأن الجميع من حولهم يتماثلون معهم تماثلا شبه عام- أي إنهم جميعا متشابهون معهم.

يساعد الدين الأمريكيين على التفكير من خلال إنقاذهم من الشك، ففي حين تفرض فلسفة ديكارت متطلب الشك، خاصة في الدين فإن الدين عن وجهة نظر توكفيل ينقذ أي شعب ديمقراطي من حالة التخاذل والعجز التي تنتج عن الشك، فالبشر بحاجة إلى أفكار راسخة جدا لأنفسهم عن الرب وعن أرواحهم وواجباتهم العامة اتجاه خالقهم ومن يشبهونهم لأنهم دون تلك الأفكار سيصبحون تحت رحمة الصدفة، ويكونون معرضين للفرض والعجز[2]، فيفرض الدين قيودا محمودة على العقل، وإذا لم ينقذ الإنسان في الحياة الأخرى، فهو مهم لسعادته وعظمته في هذه الحياة، فهو يقدم إجابات على الأسئلة الكبرى التي من دونها سيتخاذل الإنسان ويتوقف عن التفكير كلية، نظرا لأنه تعوزه القدرة على التفكير بمفرده من الإيمان، وعند قراءة أعمال أفلاطون سيجد المرء نظرة أقل إطراء للقيود المحمودة، كما يراها توكفيل في سورة الكهف الذي يقول سقراط إن معظم الناس مسجونون فيه، لكن توكفيل عارض هذا وأشار إلى أن الشك بالنسبة لمعظم الناس يؤدي بهم إلى الاستسلام للصدفة، لأن الشك يتساءل عما إذا كان الشيء يحدث بانتظام أو على نحو متوقع، فإذا اعتقد الفرد أن الصدفة تحكم الأحداث الإنسانية فإنه سيدع الأشياء تحدث دون أن يحاول التدخل في الأمر ولن يحاول القيام بفعل حر

[1]- عبد العزيز السعداين، ألكيس دونوكفيلو نقد الوضع الديمقراطي من تدني الأخلاقي إلى تفشي الاستبداد، مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 11 يونيو 2017، ص 4، 5.

[2]- جاكلين روس، الفكر الأخلاقي، المعاصر ترجمة، عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 2001، ص 16.

ومتعقل[1]، يؤكد لنا الدين أن الصدفة لا تحكم أحداثنا، ويشير إلى أن المساعي الإنسانية يمكن أن تنجح وأن لأفعال الإنسانية لها معنى.

الوحدانية فلسفة دينية أو نظام فلسفي يضم كما في مذهب سبيتوزا الرب والكون، الخالق والخلق، في كل واحد، وهذا يعني أن الرب كان عليه أن يخلق كما فعل وأن الرب هو أثر لخلقه مثلما كان السبب فيه، وهذا يعني أيضا أن الإنسان لا يمكن أن يوجهه عقله، ولا يمكن أن يكون السبب الأول كما هو الحال بالنسبة إلى البيوريتاريين، وأنه لم يعد حرا أكثر من عناصر الطبيعة الأخرى، إن هذا المذهب ليس فقط تعبيرا عن العقل الديمقراطي، بل هو فكرة عامة تلغي كل الفروق في الطبيعة ولا تعطي أي مكانة متميزة في الطبيعة للبشر[2]، كما أنه يعد هجوما على العقل الديمقراطي أو أي مفهوم للعقل، لأنه ينكر قدرة البشر على أن تكون لهم القدرة والأفضلية على باقي عناصر الطبيعة عن طريق التفكير والتأثير فيها، كما أنه يعد الذروة المنطقية للموضوعية العلمية، حيث لا يعطي أي فضيلة للبشر وأيضا وعلى نحو غريب للمساواة الديمقراطية، فالكون بأكمله ديمقراطي.

غير أن توكفيل بعد أن أورد مباشرة نقاشه الموجز والمهم في ذات الوقت لمذهب الوحدانية، تناول فكرة التقدم التي أطلق عليها القابلية اللامحدودة لبلوغ الكمال السؤال الآن ما علاقة هذا بمذهب الوحدانية، التقدم هو الاعتقاد الإيجابي الأساسي للعقل الديمقراطي، على الرغم مما يحيط به من شك وميله للحتمية العمياء فالتقدم سيبدو كتحسن معقول للوضع القائم بحيث يصبح أفضل حالا، وسيبدو أنه المثال الأساسي على حركة فكرية مثل تلك التي تحدث عنها[3]، والآن يبدو أن التقدم قدرة إنسانية تميز الإنسان عن غيره عن باقي الخلق، فالخلق إذن ليس حلا واحدا كما يدعي مذهب الوحدانية، وإنما كل معقد يتضمن كيانا قادرا على التغيير والتجديد وهذا هو التقدم بخلاف باقي الكون.

---

[1]- ليوشترواس وكروبي جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسي، المرجع السابق، ص 430.

[2]- جاكلين روس، الفكر الأخلاقي، المرجع السابق، ص 21.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 18، 19.

إن فكرة التقدم لا تتلائم ومذهب الوحدانية، غير أنهما تعبير عن العقل الديمقراطي، يرغب مذهب الوحدانية في التعميم بالرغم من كل الفروق والاختلافات لكن تصر فكرة التقدم على وجود استثناء واحد وهو الإنسان الديمقراطي، حتى تبدي احتراما للعقل الديمقراطي الذي صاغ التعميم الذي يقوم عليه مذهب الوحدانية يقول الديمقراطيون "إن جميع الأشياء في الواقع الأمر متكافئ على نحو أساسي باستثناء الديمقراطيين الذين يؤكدون على تلك النقطة[1]، يمكن تبين عدم الاتساق داخل فكرة التقدم ، فالمساواة بحسب قول توكفيل توحي للأمريكيين بفكرة قابلية الإنسان اللامحدودة لبلوغ الكمال، وهي توحي بذلك ولكن لا تجبر الديمقراطيين على الإيمان بالتقدم، لأن الإجبار سينتقص عن مكانة الابتكار الإنساني ومن تصور طريقة أفضل للوجود أو للفعل والترويج تلك الطريقة.

ينتقد توكفيل بشدة كل النزاعات الفلسفية تربط المجتمعات جزافا بعدم استقامة الأخلاق وعدم انتظام العلاقات الأخلاقية الجماعية، وهذا القول يصدق في نظرنا على النظريات الأخلاقية التي تميل إلى التجريد تنظيرها للأخلاق الفردية، بقدر ما نجدها تتحدث عن قيم أخلاقية فردية كالكائن الفاضل والعادل والعاقل والمثالي...الخ بقدر تبتعد عن الميزة العملية للأخلاق فنجدها تبتعد عن الواقع الأخلاقي والاجتماعي، إذ لا نستطيع دراسة الأخلاق أو بالأحرى بيان حدودها، إلا انطلاقا من المجتمع[2]، ويرى فيلسوفنا تبعا لذلك إن المساواة أزالت كل الحواجز المتمثلة في الجنس والثروة والاختلافات الطبيعية، وهي معايير غالبا ما يستحضرها الباحث في مقاربته وبثه في الأمور الأخلاقية وحينما تتجاوز هذه العناصر نجد أنفسنا أمام مجتمع لابد أن يحكمه قانون أخلاقي عام يقضي بعدم انتهاك حرمان الإنسان.

وإن كانت من قيم الفردانية إحدى النتائج الحتمية للديمقراطية فإننا نستطيع الحديث عن نوع من الأخلاق الذاتية المفقودة، هذه الفكرة تنسجم عموما مع موقف جاكلين روس في كتابها الفكر الأخلاقي المعاصلر، حين استحضرت وصفا دقيقا للفكر ليبوفسكي، لا تدل على انتصار القيم الفردانية الحديثة

[1]- ليوشتراوس وكروبي جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسي، المرجع السابق، ص 432.

[2]- ألكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ج2، المصدر السابق، ص 199.

على القواعد وتدل على الإلزام والخضوع لسلطة واحدة[1]، فنجد هذه الفردانية نوعا من النرجسية أكثر من الاستقلال الذاتي وتنفجر فيها المتع أكثر من الحرية، وأولوية الاستمتاع والإباحية والشغف المزاجي الجامح، وحين نتحدث مع جاكلين روس عن زمن الفرد النرجسي يصبح سؤال الأخلاق الكلية مطروحا بشدة وهو كيف نطالب بنشر قيم كلية في ظل النرجسية؟

لما لم ننجو أمة وضع كل من الفرد والمجتمع من ضعف الديمقراطية ومحدودية المساواة وتدني الوضع الإنساني عموما، كانت الأخلاق الكلية أولى المجالات تأثرا، وهو تأثر يرتبط بوضع أمة لا يسعفنا حالها للتأكد على حضور أخلاق الفرد يقول توكفيل "إن أخلاق الأمة تزاد ضغطا" ومادامت مساواة الأحوال تعم على تطهير أخلاق الفرد والعمل على تنظيمها بدعوى الاضطرابات الاجتماعية التي تؤول إليها المساواة الاجتماعية التي لا تخدم الأخلاق بتاتا، وما دمنا نتحدث عن مجتمع ديمقراطي تفاقمت عليه الشرور فمن الضروري الحديث عن جماعة من الناس يقطنون أرضا واحدة واختلطت عليهم الأمور[2]، فلم يعد كل فرد منهم يميز بين العدل والظلم، وبين الصدق والكذب، وبين الحق والباطل نتحدث عن مجتمع يمجد أفراده الرذيلة ويتركون الفضيلة، هكذا تفتقد المعايير الأخلاقية التي يسند إليها الفرد كقواعد للفعل.

يرى توكفيل في فضل معنون بـ "أراء في آداب الأمريكيين" أن البحث في العادات الأخلاقية والأفعال القيمية أمر أساسي جدا الاعتبارات أهمها أن آداب ومشاعر الأمة لا تنشأ عموما أصول أخلاقية بل من الطبيعة الإنسانية، وإذا كما أن توكفيل لا يفصل جانب الخلاق من حدود الديمقراطية، فإن أسلوبه النقدي واضح المعالم في تناوله للمشكلة الأخلاقية، فليس هناك نظام أخلاقي يوجه آداب المواطنين إذ تكاد المعايير الأخلاقية تنعدم في إطار الاضطراب الملازم لقيمها وكثيرا ما يميل الفرد إلى نوع

[1]- ألكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، ج2، المصدر السابق، ص 203.

[2]- شلودن أس فولن، توكفيل بين عالمين، المرجع السابق، ص 454.

من اللياقة كأهم نعت يميز الفعل الأخلاقي[1]، هكذا نتحدث عن مشكلة أخلاقية تتميز بعدم الانتظام واستناد القيم إلى المشاعر مشكلة أفضت إلى أصول القوانين الأخلاقية فليس هناك شيء آخر بالمجتمع الديمقراطي، من مظاهر الناس فيها، فكثيرون الذين يرضون أن يتحملوا رذائلها ولا يستطعون الاستغناء عن آداب تتجلى فيها.

إن ما قام به توكفيل من أفكار تميز بين التعامل الداخلي في فلسفته السياسية وبين ما يريد تطبيقه على فكرة الكولونيالي الداعي إلى إسقاط تجارب انتقائية من تجارب استعمارية أخرى هو أخذ فيها عدد من النقاط التي حذر منها في التعامل مع مثل هكذا مواقف من حيث كونه معارض لسلطة نابليون، التي قد تسوق البلاد إلى ما لا يحمد عقباه بسبب سياستها الداخلية والخارجية، ومن أهمها محاولة التحديث التي أراد إدخالها على الشعوب المستعمرة ومنها مصر، وكذلك تعامله الداخلي مع طبيعة الثورة في الداخل الفرنسي وعودة إلى النقاط التي حذر منها توكفيل[2]، وتتمثل هذه النقاط في:

- حالة التداخل الثقافي بين الشعوب المستعمرة والمستعمرة سيكون هناك خطر التغييرات التي يدخلها الجانب الأدنى ثقافة إلى الجانب الأعلى وتوكفيل يعد الثقافة الفرنسية هي الأرقى من الثقافات الأخرى.
- عملية عدم العزل الثقافي بين الشعوب وخاصة الأوروبية والعربية هي من تعطي مجال إلى تكوين وعي معرفي عند الشعوب الساعية إلى التحرر والتغيير والمقاومة.
- السيطرة التي لا تأتي من خلال القوة وتسمح للآخر الغريب التسلل إلى ساحتها سيجعلها في عرضة للتدخل بصورة غير مباشرة من أجل التغيير السياسي في الداخل.

[1] – محمد كريم الساعدي، ألكسيس دو توكفيل، بين فلسفة القيم الكولونيالية والفكر القومي الفرنسي، 2مارس 2020، 16:00، https://alantologai.com.

[2] – المرجع نفسه.

خـــاتمـــة

وكحوصلة على ما استخلصته في الفصول السابقة يمكن أن أستنتج أن محاولة توكفيل لإعادة بناء مفهوم الديمقراطية جاءت نتيجة للانتقادات التي أحدثتها الثورة الفرنسية في المجتمعات الغربية بالخصوص المجتمع الفرنسي، وذلك في مسارها لتجسيد الديمقراطية الحديثة ولما كانت الإرهامات الأولية للحداثة السياسية (الديمقراطية)، فلسفة مثقلة بالخطاب التغييري باعتبارها نضال فكري ثوري يهدف إلى البحث عن سبل التغيير والإنتقال إلى المجتمع الحداثي الديمقراطي، فإن نظرية توكفيل جاءت لتحسين مفهوم الديمقراطية وتبرير واقعها لذا إنساقت إلى رصد ملامح هذه المرحلة الجديدة وتفسير تحولات التي أفرزتها الديمقراطية على مستوى المجتمع الإنسان كفرد وكمواطن والدولة.

في مسعاه لرسم معالم المجتمع الديمقراطي أخرج توكفيل مفهوم الديمقراطية من الموروث الفلسفي الكلاسيكي التجريدي الذي يحصر مقولة الديمقراطية في نظام سياسي قائم بذاته ليمنح لها دلالات متعددة متداخلة تدور حول فكرة مركزية ألا وهي المساواة في الشروط، حيث اعتبر توكفيل المساواة في الشروط النابض الأولى الذي اتخذته العناية الإلهية لتفويض التراتبية الاجتماعية للنظام القديم وغرض الديمقراطية على العالم الحديث كواقع اجتماعي.

في هذه الحالة امتدت المساواة نحو كل العلاقات الاجتماعية ليتشكل الفرد الجديد أو الإسناد الديمقراطي الذي يختلف كل الإختلاف عن الإنسان الأرستقراطي، فقد ولدت فيه مشاعر عواطف وميول وأفكار جديدة، وبناءا على هذه الذهنية الجديدة تشكلت الحياة السياسية وفقا للمعتقد الديمقراطي الأزلي المتمثل في سيادة الشعب.

وإذا كان توكفيل قد رضخ لحقيقة واقعية الديمقراطية، واعتبرها حدث عظيم فرض على المجتمعات البشرية إلا أنه تحفظ من نتائج الديمقراطية والثورة الفرنسية حيث رفض رفضا قاطعا إيديولوجية الثورة التي تدين بها الفكر الفرنسي والأوروبي، لهذا يعد تفسير توكفيل لبروز الديمقراطية بإرجاعها إلى المساواة الممتدة من العصور الوسطى والمتنامية في الأزمنة الحديثة بمثابة محاولة لهدم القداسة التي حظيت بها الثورة الفرنسية ومحاولة منه التقليل من مساهتها في وضع الديمقراطية على سكة التاريخ الواقعي.

وعليه حرص توكفيل على فصل الديمقراطية عن مرجعها التجريبي العدائي والمتمثل في الثورة ليرسم بذلك الحدود الفاصلة بين الدافعية التاريخية المعتدلة والسلسلة التي وجهت الديمقراطية الأمريكية نحو الليبرالية وبين الدافعية الغريزية التي قادت أمته نحو الإستبداد.

لقد أدرك توكفيل العلاقة التبادلية التي تجمع بين مكاسب وإنتكاسات الإنسان الديمقراطي في عصر الحداثة الديمقراطية، والتي تزمنت مع قدوم المساواة في الشروط إلى العالم الحديث، وفي وقت مبكر تنبأ توكفيل أن الديمقراطية تتضمن أسوأ المعضلات التي يتعارض فيها جانبان هما المساواة والحرية، ومن خلال هذا التعارض كشف توكفيل أن الديمقراطية في طبيعتها تقترن بإستبداد لين ناعم يتولد من شغف الأفراد بالمساواة وأثارها.

لقد تضمنت نظرية توكفيل تحليلا عميقا للحداثة وهذا ما نستشفه من قراءته للديمقراطية التي ينبعث منها نقد لاذع للحداثة في مستوياتها المختلفة حيث تحفظ توكفيل من نتائج العقلانية المفرطة والتي أفرزت النزعة الشكلية فهدمت موروث القديم المتمثل في العرف والعادات والمعتقدات الدينية ونتجت بعكس ذلك علمانية متطرفة معادية للدين في المجتمع الفرنسي، ورصيدا معرفيا مبتذلا الذي سمح ببروز الرذي العام ليطفئ على المجتمع بقيوده الخانقة على الحرية الفكرية.

إن المفارقة التي أثارها توكفيل في تحليله لواقع الديمقراطية تتمثل في المرافقة على أن الديمقراطية هي التنظيم الطبيعي للجنس البشري، والذي تستقر عليه المجتمعات الإنسانية لكن في الوقت نفسه اثبت أن هذه الطبيعة تهدد الإنسان فعبقرية توكفيل تكمن في جعل الإنسان والديمقراطية في تفاعل جدلي مستمر في التاريخ، فقد أخذ توكفيل بمبدأ مونتسكيو الذي يقر أن طبيعة الحكومة تحدد طبائع الإنسان لكن داخل التنظيم العام للديمقراطية بين توكفيل من خلال التجربة الأمريكية أن الإنسان يمكن أن يحدد مصيره ويعدل أطر حياته ويوجه الديمقراطية بشكل مستمر، ويتوقف ذلك على فاعليته كمواطن ونظرية توكفيل الديمقراطية تعد تكملة لنظرية مونتسكيو السياسية.

لقد فتح توكفيل مسار الديمقراطية على التاريخ حيث تجنب أن يغلق على مفهومه في صيغة مجردة جامدة، لهذا ميز بين طبيعة الديمقراطية كواقع قائم وبين الفن الديمقراطي بإعتباره ثقافة يبنيها الإنسان ويكتسبها كمواطن في المجتمع من خلال ممارسته لحريته السياسية، لأن الحرية في مفهومها التوكفيلي تتضمن الإستقلالية والمشاركة السياسية، وبالتالي تجمع بين إرادة الفرد الحرة والإلزام المدني للمواطن إن توكفيل لبيرالي محافظ فليبيراليته عكس الفردانية والحرية التي يمجدها تميل إلى حرية القدماء بلغة "بينيامين كونستان" لأنه لا يثق في الفرد المستقل المعزول، إنما يثق في المواطن المسؤول.

لقد نقل توكفيل مفهوم الديمقراطية من مستوى سلطة الدولة كنظام سياسي إلى مستوى سلطة المجتمع المدني، ليجعل منها في الأخير ثقافة يبنيها المجتمع ويكتسبها الفرد ويمارسها المواطن، لهذا يمكن القول أن الديمقراطية ليست وصفة جاهزة أو مشروع جاهز يمكن إسترداده أو تصديره فهي ثقافة تحتاج قيمها وعلى كل مجتمع يصبوا إليها أن يحضر لها ويولد ثقافتها وقيمها من رحمه فالديمقراطية تدور في نطاق حدود المواطنة التي تجمع بين أفراد أمة من الأمم.

قائمة المصادر

والمراجع

القرأن الكريم:

الأحاديث:

أولا: المصادر

1. ألكسيس دوتوكفيل الديمقراطية في امريكا ج1و2تر:امين موسى قنديل عالم الكتب القاهرة(دس(

2. الكسيس دوتوكفيل النظام القديم والثورة الفرنسيه تر :خليل كلفت المركز القومي للترجمة القاهرة (ط1)2009

ثانيا: المراجع

3. ابن سيده الحكم والمحيط الاعظم اللغه معهد لمخطوطات العربيه الفاهرة (دس(

4. حمد طلعت الوجه الاخر للديمقراطيةالطريق للنشر والتوزيع الجزائر 1990

5. ابراهيم شلبي تطور الفكر السياسي دراسه تأصيليه لفكرة الديمقراطيه في الخضارات القديمه دار الجامعيه للطباعه والنشر بيروت 1985

6. احمد رسلان الديمقراطيه بين الفكر الفردي والاشتراكي دار النهضه العربيه القاهرة 1971

7. تورين الين ماالديمقراطيه تر:عبود كسوحه منشورات وزارة الثقافه دمشق)ط1)2000

8. جابريل ايه الموند جي بنتجهام باويل السياسات المقارنه في وقتنا الحالي نضرة عالميه تر:هشام عبد الله الدار الاهليه للنشر والتوزيع عمان (ط1)1998

9. جون راولز العداله كنطاق اعادة صياغه تر حيدر الحاج اسماعيل المنظمه العالميه لترجمه بيروت (ط1)2014

10. جاكلين روس الفكر الاخلاقي المعاصر تر عادل العوا منشورات عويدات بيروت)ط1)2001

11. بيرتراند راسل السلطه والفرد افاق النشر والتوزيع بيروت 2017

12. برهان غاليون نقد السياسه والدين والدوله المركز القومي العربي)ط4)2007
13. الشيخ احمد الدين العجوز مناهج الشريعه الاسلاميه مكتبه المعارف بيروت 1987
14. القاضي حسين بن محمد المهدي الشورى في الشريعه الاسلاميه المكتبه الشامله 2006
15. بيرفيليب علم الاجتماع السياسي تر محمد عرب المؤسسهالعربيه للنشر والتوزيع بيروت 1998
16. بدوي ثروت النظم السياسيهودار النهظه العربيه القاهرة دط 1975
17. تورين الين ماالديمقراطيه تر عبود كسوحه منشورات وزارة الثقافه دمشق ط1 2000
18. تسلودين اس فوني توكفيل بين عالمين اجتراح حياه سياسيه ونظريه تر فاضل جنكر الهيئه العامه السوريه للكتاب دمشق 2011
19. غيوم سيبرتام الفلسفه السياسيه في القرن 19و20تر عز الدين الخطابي المنظمه العربيه اللترجمه بيروت ط1 2011
20. صلاح الدين عبد الفتاح الخالدي امريكا من الداخل دار الشاميه للنشر والتوزيع بيروت دس
21. كوين سنكر اسسس الفكر السياسي تر حيدر حاج ابراهيم المنظمه العربيه لبنان بيروت ط1 2012
22. كارل بوبر بحثا عن عالم افضل تراحمد مستجير 1999
23. رقيه سعيد خلخال النظريه النقديه للديمقراطيه في الفكر السياسي الغربي 2009
24. مراد دياني حريه المساواه اندماج نظريه العداله في النموذج اللبيرالي المركز القومي للابحاث والدرسات السياسيه بيروت ط1 2014
25. محمد هاشمي نظريه العداله عند راولز نحو تعاقد اجتماعي مغاييز دار توبقال للنشر والتوزيع بيروت 2014
26. نوربير بيو الليبيراليه والديمقراطيه صندوق الثقافه المكسيك دس

27. مهدي محظوظ اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث المؤسسه الجامعيه للدرسات والنشر بيروت ط1 1999

28. فياض من الكسيس دوتوكفيل الديمقراطيه في امريكا معهد الدرسات بغداد ط1 2007

29. نجيب المستكاوي جان جاك روسو حياته ومؤلفاته دارتلشروق القاهرة ط1 1989

ثالثا: الموسوعات والمعاجم:

1. ابن منظور لسان العرب دار المعارف القاهرة مج 1دس ج 1و،2

2. علوي عبد القادر السقاف موسوعه المذاهب الفكريه المعاصره موقع السنن الدريه ج7 1433هـ

3. الفيروزي ابادي قاموس المحيط مؤسسه الرساله بيروت1987

4. خلف الجراد معجم الفلاسفه المختصر المؤسسه الجامعيه للنشر والتوزيع دس

5. عبد الوهاب الكيالي موسوعهوالسياسه ج6 المؤسسه العربيه للنشر والتوزيع دس 1990

رابعا: المجلات والمقالات

1. يوسف عادل الزاوي معنى الحكم واقسامه سبكه الاولكه 2015

2. ابراهيم بن محمد الحفيل مناقضه الديمقراطيه للاسلام 2012 16:03-2017-09-29/ www.saiid.net

3. انتوني بلاك الغرب والاسلام الدين والفكر الساسي في التاريخ العالمي تر فؤاد المطلب عالم المعرفه العدد 394الكويت 2012

4. فاطمه نادي موسى بن ميمون ان تكون يهوديا في دوله الخلافه الاسلاميه 19/14:05-09-2018https://ssapost

5. فردوس الموسمي الاسلام الديمقراطيه دراسه تحليليه للتعامل الاسلام مع النظام الديمقراطي 2005 /www.chrap .net0323

6. نصر الدين محمد عارف ماذا ينبغي من الديمقراطيه الامريكيه ؟08:06/ 2020-11-09https://al-ain.com

7. محمد عبد الرحمان توكفيل لماذا راي السياسي الفرنسي نفسه ليبيرليا من النوع جديد ؟07:00 13/11/2020https://m youm7.com

8. هارفي مانسفيلد مساله الزعه المحافظه 17يونيو2020https ://couua.com

9. غازي الثوراني جون ديوي 10-02-2021/15:45https: m.ahewar.org

10. عبد الرحمان عادل الديمقراطيه والا معقول درس جون راولز 17:14 https ;//www.ida3t.com

11. عبد الله المطيري جون راولز الديمقراطيه الداوليه 16:20:4-11-2013 https://wwwaawast.com

12. فارس كمال نظمي مفهوم العداله في الفكر الاجتماعي الجمعيه النفسيه العراقيه العدد 752 -26تموز-2007

13. محمد عبد الكريم الساعدي الكسيس دوتوكفيل بين الفلسفه القيم والكولونياليه والفكر القومي 2-04-2020-16:00https://almtologi.com

14. عبد العزيز السعداني الكسيس دوتوكفيل ونقد الوضع الديمقراطي مت تدني الاخلاق الى تفشي الاستبداد مؤمنون بلا حدود 11يونيو 2017-_www.momimoun.com

15. زهير الخويلدي تاريخ الفلسفه الاساسي 04جانفي 2020 https://m.anmabaa.org

16. هديل عتوم ممارسه الديمقراطيه عند توكفيل في ع الاجتماع 13-يناير-2021 -13:00- https://e3arabi.com

17. محمد مختار الشنقيطي ديمقراطيه لا علمانيه 17-10-2021-03:57شبكه الجزيرة الاعلاميه

18. محمد هدهد جون راولز في ميدان التحرير 22-11-2016-15:33 https://www.aljazira.com

19. عبد الغاني بوسوالك فلسفه العداله الكونيه عند راولز 2013 -12-13https://www.asjp-coist.dz

20. اسماعيل ايمان الفلسفه السياسيه بين الاخلاق السياسيه 20210919-17:45 httpsv//biblotheque.ma

21. محمد الشيخ قراءة في كتاب دليل مسبوري الى الفلسفه السياسيه 16-08-2019-02:40 _ https://alraya.com

22. الكسيس دوتوكفيل رساله الثانيه لاحتلال الجزائر منشورات زيدمwww.natharatmouchrika.net

ملحق الشخصيات

ملحق الشخصيات:

جان جاك روسو: ولدي في 28 يونيو 1712 وتوفي يف إيمينو نفيل 02 يوليو 1778 عن عمر يناهز 66 عام،هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نيات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، وهي فترة من التاريخ الأوروبي امتدت من أواخر القرن 17 إلى اواخر 18 الميلاديين، ساعدت فلسفته إلى القيام الثورة الفرنسية وفي تشكيل الأحداث السياسية، حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة[1].

يعتبر كتابه العقد الاجتماعي حجر الزاوية في الفكر السياسي والاجتماعي الحديث، كانت رواية روسو العاطفية جولي أو إلواز الجديدة 1761 ذات تأثر مهم في تطوير الحركة ما قبل الرومانسية والرومانسية في الخيال، يعتبر عمله بعنوان "في التربية" إدهيل نموذجا أطروحة تعلمية عن مكان الفرد في المجتمع، مثلث كتابات روسو للسير الذاتية مثل كتاب الإعترافات الذي ألغه في عام 1769، ونشر بعد وفاته والذي أسس السيرة الذاتية الحديثة وكتبه غير المكتمل بعنوان أحلام اليقظة جوال منفرد، عصر الحساسية في أواخر القرن الثامن عشر[2]، وأظهرت زيادة التركيز على الذاتية والتأمل اللين ميزتا الكتابة الحديثة في وقت لاحق وكان روسو أشهر الفلاسفة بين أعضاء نادي يعقوب خلال فترة الثورة الفرنسية، شيد قبره كبطل وطني في معبد بانتيون في باريس في عام 1794 أي بعد 16 عاما من وفاته.

نظر روسو إلى نظرية حالة الطبيعية الإفتراضية كدليل معياري نظرا لتشاركه مع الفلاسفة الآخرين، في عصره انتقد هوبر لتأكيد على كون الإسناد شرير بشكل طبيعي لعدم إمتلاكه أي فكرة عن الخير في حالة الطبيعية وأنه شرير لأنه لا يعرف الفضيلة، نظر روسو إلى الموضوع بشكل خاص

[1]- نجيب المتكاوي جان جاك روسو حياته ومؤلفاته وغرمياته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1989، ص 07.
[2]- المرجع نفسه، ص 12.

بالإعتدال المثير للإعجاب للكاريبين في تعبيرهم عن الرغبة الجنسية على الرغم من أنهم يعيشون في مناخ حار يثير الرغبات[1].

أكد روسو أن مرحلة التطور البشري المرتبطة بما أسماه الوحشية كانت الأفضل أو الأنسب في التطور البشري وذلك بين أدنى المرحلة.

أ)– من هو أليكسيس دو توكفيل؟

عالم سياسي وفرنسي ومؤرخ معروف أكثر من غيره، ولد هذا الأخير في 29 يوليو 1805 في باريس فرنسا، كان حفيد رجل الدولة كريتيان غيوم دي لامو يغنون دي ماليشيربيش، وهو ضحية أرستقراطية ليبيرالية للثورة الفرنسية ونموذج سياسي لتوكفيل، تلقى تعليمة من قبل مدرس خاص حتى المدرسة الثانوية ثم إلتحق بمدرسة ثانوية وعليه في ميتز بفرنسا، درس القانون في باريس وعمل قاضي بديلا في فرساي[2].

في عام 1831 سافر "توكفيل" و "غوستاف دي يومونت" صديق وزميل إلى والولايات المتحدة لدراسة إصلاحات السجن، وقضو تسعة أشهر في البلاد، كانو يأمنون في العودة إلى فرنسا بمعرفة مجتمع يجعلهم لائقين للمساعدة في تشكيل مستقبل فرنسا السياسي[3]، وبالتالي أ نتجت الرحلة أول كتاب مشترك نشره الإثنان حول نظام السجون في و.م.أ وتطبيقاته في فرنسا بالإضافة إلى الجزء الأول من ديمقراطية توكفيل في أمريكا.

أمضى توكفيل السنوات الأربع التالية في العمل على الجزء الأخير الديمقراطية في أمريكا، الذي نشر علام 1840، إلى حد كبير بسبب نجاح الكتاب، تم تسميته توكفيل إلى "فيلق الشرف"،

---

[1]– المرجع نفسه، ص 12.

[2]– أشلي كروسمان، من كان أليكسيس دي توكفيل، العلوم الاجتماعية http//lleferrit.com الساعة 14:15 التاريخ 2016/06/24.

[3]– أشلي كروسمان، من كان أليكسيس دي توكفيل، العلوم الاجتماعية http//lleferrit.com الساعة 14:15 التاريخ 2016/06/24.

وأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية والأكاديمية الفرنسية، كان الكتاب ومازال يحظى كبيرة لأنه يتعامل مع قضايا مثل الدين والصحافة والمال والهيكل الطبقي والعنصرية ودور الحكومة والنظام القضائي[1]، وهي قضايا ذات صلة اليوم كما كانت في ذلك الوقت.

في وقت لاحق قام توكفيل بجولة بإنجلترا، والتي ألهمت كتاب " Mémoire on pauperism"، كتب كتاب آخر "توكفيل سبور لاجيري"، بعد أن قضى توكفيل وقتا في الجزائر في 1841 و1846 وخلال ذا الوقت طور نقدا للنموذج الاستعماري الفرنسي، والذي شاركه في الكتاب وفي عام 1848 أصبح توكفيل عضو منتخبا في الجمعية التأسيسية وعمل في اللجنة المسؤولة عن انشاء الدستور الجديد للجمهورية الثانية[2]وهنا ظهرت جليا ومن خلال مؤلفاته هاته أنه معارض كليا للنابليون بونابرت الذي أزاله من حكمه ومنه حرم من تولي المزيد من المناصب السياسية.

وفي عام 1851 سجن لمعارضته انقلاب بونابرت وحرم من تولي المناصب السياسية، ثم تراجعنا توكفيل إلى الحياة الخاصة وكتب " l'incien Regime et le Revolution" ثم نشر المجلد الأول من الكتاب في عام 1856، لكن توكفيل لم يتمكن من اكمال الثانية قبل وفاته بمرض السل عام 1859[3].

ب- **أهم مؤلفاته:**

بلأليكسيس دو توكفيل العديد من المؤلفات خصوصا في المجال السياسي أهمها:

1- نظام السجون الأمريكي وتطبيقاته في فرنسا 1833.

2- الديمقراطية في أمريكا 1835-1840.

3- النظام القديم والثورة 1856.

---

[1]- البعلبكي منير معجم الأعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، ص 147.

[2]- المرجع نفسه، ص 149.

[3]- المرجع نفسه، ص 156.

4- ذكريات 1893[1].

ج)- حياته العلمية:

لقد بدأ توكفيل حياته العلمية قاضيا juge–auditeur بمحكمة فرساي ابتداءا من 1827/04/16، وهو ابن الاثنين والعشرين عاما، وهناك تعرف على صديق "غوستاف دو برمو" حيث كان ينحدران من منطقة واحدة ويتقسمان الكثير من الأفكار والمبادئ، وفي الفترة الممتدة ما بين 1828-1830 تابع المحاضرات التي كان يلقيها قيزو guizot في جامعة سيربون حول تاريخ الحضارة في فرنسا[2]، ولكن وبالتاريخ اتجه نحو السياسة كلية وترك القضاء نهائيا حيث استقال هو وزميله من مهنة القضاء "ماي 1832".

لقد أدرك دوتكفيل وهو لا ينزل طالب المبادئ مدى هشاشة النظام القائم في فرنسا، وهو ما سوف يولد لديه الرغبة في التعرض لهذا النظام بالدراسة والتحليل، وذلك ما سوف ينعكس في مؤلفة "النظام القديم والثورة" وبالتالي أفاق المعرفة والبحث سوف تنفتح أمامه من خلال زيارته نحو "و.م.أ" لدراسة نظام المساجين هناك فقد استغلها دوتكفيل لدراسة الديمقراطية في أمريكا[3]، وعلى الرغم قصر المدة مكثها هناك استغلها دوتوكفيل في جمع الكثير من المعلومات لتدعيم البحث الذي كان يقوم به هو وزميله وبالتالي الإستفادة منه.

لقد واصل توكتفيل نشاطه المتعددة، وتنقلاته التي من دون شك عمقت معارفه، وجعلته يطلع على الكثير من الأحداث والقضايا التي ميزن عصره، حيث سيزور الجزائر مرة ثانيةن وكان ذلك سنة 1846، وسوف ينشر تقريرا عنها سنة 1847، وفي الوقت الذي كان فيه صديقه "يومون" عضوا

[1] فريال فيلالي، نصوص أليكسيس دو توكفيل، جامعة الجزائر (2)، مجلة اللسانيات التطبيقية، العدد (4)، ديسمبر 2018، ص 139.

[2] - عبيد بوداود، أليكسيس دوتوكتفيل، جامعة معسكر، مجلة القرطاس العدد 2، جانفي 2015، ص 189.

[3] - المرجع نفسه، ص 190.

نشطا في البرلمان وعضوا فعالا في الحقل السياسي، كان توكفيل على كتابة مؤلفة النظام القديم والثورة فيما بعد.

د)– مرجعيته الفكرية والفلسفية:

أولا: مونتيسكيو

حيث لقب أليكسيس دوتوكتفيل بـ "مونتكسيو القرن التاسع عشر" لأنه كما أعجب أليكسيس دوتوكفيل بأمريكا ونضامها السياسي نفس الشيء بالنسبة لـ مونتوكسيو فقد أعجب بإنجلترا ونضامها السياسي ودرسه بدقة، ففي رأي توكفيل أن الديمقراطية هي تكافئ الظروف المعيشة يمكن اعتبار المجتمع الديمقراطي في مجتمعا لم يعد فيه أي تمييز بين العقارات والطبقات، حيث يكون جميع الأفراد الذين يشكلون الجمعية متساوون اجتماعيا[1]، ومن هذا لا المساواة الفكرية ولا حتى الاقتصادية ولا حتى الاجتماعية (لا يوجد فرق موروث في الحالة الاجتماعية) وأن جميع أنواع الأنشطة والمهن ومع ذلك فإن هذا جوهر الديمقراطية فمن الواضح أن الحكومة التي تتكيف مع مجتمع المساواة ستكون نوع الحكومة التي يسميها "توكفيل" في أجزاء أخرى ديمقراطية إذا لم يكن هناك اختلاف جوهري في ظروف الوجود بين أعضاء المجموعة ثم تصبح سيادة الأفراد كلهم طبيعية ومنه هناك تعريف مونتيسكيو وغيره من المؤلفين الكلاسيكيين إذا كان جميع يتمتع بالسيادة فإن مشاركة الجميع في اختيار المديرين وفي ممارسة السلطة هي تعبير منطقي عن مجتمع ديمقراطي[2]، أي معادلة بالإضافة إلى ذلك في مجتمع تكون فيه المساواة هي القانون ويتم تحديد طابع الدولة من خلال الديمقراطية فإن الهدف ذي الأولوية هو رفاهية الأغلبية.

[1]– إبراهيم أبراش، علم الاجتماع السياسي، مقاربة استمولوجية ودراسة تطبيقية على العالم العربي، منشورات إي، كتبن (د.ت)، (د.ط).

[2]– إبراهيم أبراش، علم الاجتماع السياسي، مقاربة استمولوجية ودراسة تطبيقية على العالم العربي، المرجع السابق، ص 73.

يمكن تسمية هذا المجتمع الذي لا يعتبر المصل الأعلى السلطة أو الشهرة بل الازدهار والهدوء بورجوازيا صغيرا وتوكتفيل باعتباره سليل عائلة نبيلة يتأرجح في أحكامه حول مجتمع ديمقراطي بين التقشف والتنازل بين تحفظ القلب والموافقة غير الحاسمة للعقل فإذا كانت هذه سمة من سمات مجتمع ديمقراطي حديث، فإن ا أعتقد أنه من الممكن فهم المهمة الرئيسية لتوكتفيل بمساعدة مونتيسكيو الذي تحدث عنه توكفتيل نفسه كنموذج لنفسه خلال فترة الكتابة (كتاب الديمقراطية في أمريكا) ، تتمثل مهمة توكتفيل الرئيسية في حل إحدى مشكلات التي طرحها مونتيسكيو.

وفق لمونتيسكيو فإن الجمهورية أو الملكية تمثل أو يمكن أن تمثل احدى أنظمة المعتدلة يتم فيها الحفاظ على الحرية، في حين أن الاستبداد، أو السلطة غير المحدودة لأهمها ليس ولا يمكن أن يكون نظاما معتدلا، ومع ذلك بين هذين النظامين المعتدلين لجمهورية والنظام الملكي هناك اختلاف جوهري المساواة مبدأ الجمهور القديمة بينما عدم المساواة في التركات والمناصب هو جوهر الملكيات الحديثة أو على الأقل الملكية.

نبيلة يتأرجح في أحكامه حول مجتمع ديمقراطي بين التقشف والتنازل بين تحفظ القلب والموافقة غير الحاسمة للعقل فإذا كانت هذه سمة من سمات مجتمع ديمقراطي حديث، فإن اعتقد أنه كمن الممكن فهم المهمة الرئيسية لتوكفيل بمساعدة مونتيسكيو الذي تحدث عنه توكفيل نفسه كنموذج لنفسه خلال فترة الكتابة (كتاب الديمقراطية في أمريكا) تتمثل مهمة توكفيل الرئيسية في حل إحدى مشكلات التي طرحها مونتيسكيو.

- وفقا لمونتسكيو فإن الجمهورية أو الملكية تمثل أو يمكن أن تمثل إحدى أنظمة المعتدلة يتم فيها الحفاظ على الحرية، في حين أن الاستبداد، أو السلطة غير المحدودة لأهمها، ليس ولا يمكن أن يكون نظاما معتدلا، ومع ذلك بين هذين النظامين المعتدلين الجمهورية والنظام الملكي هناك اختلاف جوهري المساواة مبدأ الجمهوريات القديمة، بينما عدم المساواة في التركات والمناصب هو جوهر

الملكيات الحديثة أو على الأقل الملكية الفرنسية[1] لذلك يعتقد مونتيسكيو أن يمكن الحفاظ على الحرية بطريقتين أو في نوعين من المجتمع بعبارة أخرى في ظل ظروف الملكية الفرنسية، كما أدركها مونتيسكيو تظهر اللامساواة بشكل متزامن القوة الدافعة وضمان الحريات.

- ومع ذلك أثناء دراسته لإنجلترا صادف مونتيسكيو ظاهرة النظام التمثيلي جديد عليه،وذكر أن الأرستقراطية في إنجلترا كانت تعمل في التجارة وفي نفس الوقت لم تكن فاسدة على الإطلاق، وهكذا اكتشف النظام الليبرالي القائم على التمثيل وأولوية التجارة، ويمكن النظر إلى خطة توكفيل على أنها تطوير لنظرية مونتيسكيو عن الملكية الإنجليزية بتدوين ملاحظاته بعد الثورة الفرنسية[2] ومنه لا يستطيع توكفيل أن يعترف بأن أساس وضمان الحرية في الظروف الحديثة يخدم عدم المساواة في الوقف ثم عدم المساواة التي اختفت أسسها الفكرية والاجتماعية.

- وهكذا فإن الحرية في الظروف الحديثة إذا تحدثنا بأسلوب "بينيا مين كونستانت"، لا يمكن أن تستند، كما اقترح مونتسكيو إلى الفرق بين الشركات والعقارات تصبح المساواة في الشروط العامل الرئيسي، وأهم موقف لـ توكفيل لا يمكن أن تقوم الحرية على عدم المساواة، يجب أن تقوم على الواقع الديمقراطي مع المساواة في الشروط وأن تكون محمية من قبل المؤسسات التي يتم تمثيل نموذجها كما كان يعتقد في أمريكا[3].

- ومع ذلك ما الذي كان يقصده دو توكفيل بالحرية؟ يختلف أسلوب كتابته عن أسلوب علماء الاجتماع الحديثين، لم يحدده بناءا على أي معايير لكن ليس من الصعب توضيح، وفقا لمتطلبات العلمية للقرن 20، ما أسماه بالضبط بالحرية علاوة على ذلك، أن فهمه للحرية مشابه جدا لذلك الذي انطلق منه مونتيسكيو فالمكون الأول لمفهوم الحرية هو غياب التعسف، عندما تمارس الناس

[1]- المرجع نفسه، ص 43.

[2]- إبراهيم أيراش، علم الاجتماع السياسي، المرجع السابق، ص 74.

[3]- عبيد بوداود، ألكسيس دو توكفيل قراءات في بعض أفكاره ومرافقه، مجلة القرطكس، جامعة معسكر، ع2، جانفي 2015.

السلطة فقط وفقا للقوانين[1]. ومع ذلك يجب على المرء أن يحذر من الناس فهم ليسوا فاضلين لدرجة تجعلهم يحتفظون بالسلطة المطلقة دون إفسادها وهذا يعني أنه مم الضروري كما يقول مونتسكيو، أن توقف السلطات حتى يكون هناك العديد من مراكز صنع القرار والهيئات. أي من الضروري أن يحكم الناس أنفسهم.

- يمكن صياغة المشكلة التي تهم توكفيل بإيجاز على النحو التالي: في ظل أي ظروف يمكن للمجتمع الذي يوجد فيه ميل نحو توحيد مصير الأفراد ألا تنعكس في الاستبداد؟ أو كيف نجمع بين المساواة والحرية؟ لكن توكفيل ينتمي إلى علم الاجتماع بقدر ما ينتمي إلى الفلسفة الكلاسيكية التي يرتبط بها من خلال مونتسكيو لفهم جوهر المؤسسات السياسية، فإنه يطرح مسألة حالة المجتمع ككل[2] لذلك فإن علم اجتماع توكفيل فإن عدم المساواة في الثورة الذي تم التأكيد عليه، لا يتعارض مع المساواة الأساسية في الظروف المتأصلة في المجتمعات الحديثة.

- يسمي توكفيل ثلاثة أنواع من الأسباب ونهجه يشبه إلى حد كبير نهج مونتسكيو موقف عشوائي وغريب وجدت فيه أمي نفسها جمعية ريكا، الوضع العشوائي والغريب هو مساحة جغرافية استقر فيها المهاجرون الذين وصلوا من أوروبا، يتمتع المجتمع الأمريكي في الوقت الحالي الذي وصفه توكفيل بفوائد استثنائية بسبب الحد الأدنى من الالتزام الدبلوماسي والمخاطر العسكرية[3] في الوقت نفسه، ثم إنشاء هذا المجتمع من قبل أشخاص يمتلكون المعدات التقنية لحضارة متطورة، واستقروا في مساحة ضخمة.

- بصفته تابعا مثاليا لمونتسكيو، أنشأ توكفيل تسلسلا لهذه الأنواع الثلاث من السباب (العادات والأخلاق، المساواة والحرية، القوانين والدين) تبين أن المواقف الجغرافية والتاريخية أقل أهمية

[1]- عبيد بوداود، ألكسيس دو توكفيل قراءات في بعض أفكاره ومرافقه، مجلة القرطكس، جامعة معسكر، ع2، جانفي 2015.

[2]- ليوشتراوس جوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية من لوك إلى هيدجر ج2، تر: محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط1، 2005، ص71.

[3]- ليو شتراوس جوزيف كويسي تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 76.

من القوانين، القوانين أقل أهمية من العادات والدين، ففي ظل نفسه الظروف، ولكن مع اختلاف الأخلاق والقوانين، سيظهر مجتمع مختلف، التاريخية والظروف الجغرافية تبين أن الظرف مواتية فقط[1] فالأسباب الحقيقة للحرية التي تتمتع بها الديمقراطية الأمريكية هي القوانين الجيدة والأهم من ذلك العادات والأعراف والمعتقدات التي بدونها لن تكون هناك حرية.

ثانيا: جان جاك روسو

- جان جاك روسو يعد من أهم الفلاسفة المؤيدين لأفكار الديمقراطية والمساواة كما هو الحال عند فيلسوفنا ألكسيس دو توكفيل، ويمكن اعتباره فرنسيا بسبب انتسابه إلى عائلة فرنسية لجأت إلى جنيف في القرن السادس عشر بسبب الاضطهاد الديني، وروسو استنكر الحكم المطلق الذي دافع عنه هوبز، وإن كان قد أعجب بدقته وصياغته النظرية، وقد اهتم بتحديد القواعد التي تسمح بإقامة نظام سياسي شرعي حيث يؤكد على أن الإنسان يولد حرا[2] إلا أنه مكبل بالقيود في كل مكان متوخيا من ذلك التمهيد للبحث عن شرعية قيام المجتمع السياسي بصورة عامة.

- إن توكفيل لا يخرج عن السياق العام لفروض الفكر السياسي لتراث مكيافيلي وهوبز في مجال الفلسفة السياسة، رغم توافق أفكاره مع الفكر السياسي الحديث (أي مثلما هو الحال لدى أصحاب العقد الاجتماعي بالخصوص جان جاك روسو)، فهو من أنصار مبدأ الديمقراطية، ومن الأوائل المليين لهذه الإشكالية في العصر الحديث حيث اضطلع بدراسة شاملة لتشكيلها وللمساواة والوظائف باعتبارها علة أولى لقيام المجتمع[3] مع معارضة شديدة للحكم الأرستقراطي المميز بالطغيان الشديد على حساب المساواة فالمساواة هي إحدى أهم المقولات التي يدافع عنها كل من وسو وتوكفيل باستمرار.

---

[1]- ليو شتراوس جوزيف كويسي تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 79.

[2]- مؤيد مجبر محمود الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر ج1 جامعة الأنبار كلية القانون والعلوم السياسية 7 قسم العلوم السياسية، العراق 2019 ص 48.

[3]مؤيد مجبر محمود الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، المرجع السابق ص 49.

- يقيم توكفيل للمساواة القواعد والمقاربات حتى تتمكن من حياة المجتمع الديمقراطي، ويربط ضرورة المذهب الفردي والمساواة بشكل حتمي، فتصبح المساواة إحساسا معيشيا سياسيا واجتماعيا وسلوكيا وذهنيا، لدى المواطن في المجتمع، مع تسليمه بأن الوضع الاجتماعي هو المسؤول عن شكل ونوع الحياة في أي فضاء جغرافي معوج وذو خيارات المصاحبة لقيام هذا أو ذاك المجتمع من تقاليد وانفعالات ولغة وتحديد الهداف الموجودة وما إليها[1] فالديمقراطية تحقق المسعى إلى الرفاهية المعتدلة بالنسبة لكبر عدد ممن المواطنين مع تحذيره بأن الرفاهية أو تحقيقها يبعث على الاستزادة فيها.

- قد ميز روسو بين الدولة والحكومة، فالدولة عنده هي الشخص السياسي للدولة، وهي تعبر عن نفسها عن طريق الإرادة العامة ذات السيادة العليا، أما الحكومة فتتكون من الأفراد الذين يختارهم الشعب لتطبيق رغبات الإرادة العامة، فالحكومة وكيل عن الحكومة وهو العقد ليست إلا حراسة السيادة ولا تستطيع أن تصدر أي قانون وإنما الشعب هو الوحيد الذي له هذا الحق، فالقانون عنده يصدر عن الإرادة العامة.

- كان توكفيل ليبيراليا كلاسيكيا دعا إلى حكومة برلمانية وكان متشككا

في التطرف في الديمقراطية خلال الفترة التي قشاها في البرلمان جلس في يسار الوسط، ولكن الطبيعة المعقدة والمتقلبة لليبيرالية أدت إلى تفسيرات متناقضة ومعجبين من مختلف الأطياف السياسية في ما يتعلق بموقفه السياسي، كتب توكفيل أن "كلمة يسار هي الكلمة التي أردت إرفاقها باسمي حتى تضل مرتبطة بها إلى الأبد.

-كان تأثر توكفيل بفلاسفة السياسيين منهم بالخصوص، فهو كان نشطا في السياسة الفرنسية، أولا في ظل ملكية يوليو (1830-1849) ثم من خلال الجمهورية الثانية(1849-1851) التي أعقبت ثورة فبراير 1848، واعتزل الحياة السياسية بعد لويس نابليون بونابرت 2 ديسمبر 1851،

[1]- ليوشتراوس جوزيف كويسي تاريخ الفلسفة السياسية، المرجع السابق، ص 411.

انقلاب، بعد ذلك بدأ العمل على النظام القديم والثورة جادل توكفيل في أن أهمية الثورة الفرنسية كانت لمواصلة عملية تحديث ومركزية الدولة الفرنسية التي بدأت في عهد الملك لويس الرابع عشر.

-يواصل توكفيل التعليق على المساواة بالقول "علاوة على عندما يكون المواطنين جميعا متساويين تقريبا، يصبح من الصعب علي الدفاع عن استقلالهم ضد اعتداءات السلطة، نظرا لأن أيا منهم لا يتمتع بالقوة الكافية للقتال بمفرده مع ميزة، فإن هذا الضمان الوحيد للحرية للجميع أن يجمعوا قواهم(وهذا يظهر جليا في فكرة التفاوت والمساواة عند روسو)" ولكن هذا المزيج ليس دائما في الدليل ومن ناحية أخرى يستشهد توكفيل صراحة بعد المساواة على أنه حافز للفقراء ليصبحوا أغنياء ويشير إلى أنه ليس في كثير من الأحيان أن جيلين داخل الأسرة يحافظون على النجاح.

-كان الهدف الرئيسي ل Tocqueville هو تحليل أداء المجتمع على المجتمع المدني والسياسي والفرد السياسي والأشكال المختلفة للجمعيات السياسية، على الرغم من أنه قدم بعض الأفكار حول المجتمع المدني المكتسب من الفلسفة روساوية والعلاقات بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني لتوكفيل، أما بالنسبة لجورج فيلهم فريدريش هيجل وكارل ماكس، كان المجتمع المدني مجال تنظيم المشاريع الخاصة والشؤون المدنية ينظمها القانون المدني ولكن توكفيل يعتقد أنه من خلال ربط القرض المتبادل سواءا في القطاعات العام والخاص، فإن الأمريكيين قادرون على التغلب على الرغبات الأنانية وهذا ما حفزه على دراسته للمجتمع الأمريكي.

-إن البداية الحقيقية لتشكل المجتمع المدني ارتبط بنشوء المجتمع الرأسمالي وبتطور الفكر السياسي الليبيرالي في أوروبا خلال القرنيين 17 و18، فقد شهدت تلك الحقبة انهيار الحكم الإقطاعي المطلق ...، وبداية سلطان القانون الطبيعي والتحول من الحالة الطبيعية الافتراضية إلى المجتمع المدني (أمر التفاوت) الذي يقر بحرية الفرد الإنسان باسم العقل والمنطق، وسيادة الشعب، وحقوق الإنسان، وعليه فالتعديلات الجوهرية التي أدخلت على مفهوم المجتمع المدني جاءت مرافقه بالتطور الجامع للنظام الرأسمالي، ومرتبطة عضويا بتطور الفكر السياسي الليبيرالي بمختلف مكوناته الفلسفية

والسياسية وهذه الفكرة ظهرت خلال فترة العقل الاجتماعي بالخصوص مع روسو فهو يرى بأن المجتمع المدني مجموع أفراد وليس مجموع مؤسسات.

- بدأ توكفيل بتحديد معنى لمفهوم المجتمع المدني من التجربة الأمريكية في المسألة الديمقراطية والتي هيأت الأرضية المناسبة لنشأة مجتمع مدني نشيط وفعال حاول فيه الإجابة عن التساؤل التالي" ماهي العوامل التي جعلت المجتمع الديمقراطي في أمريكا ليبراليا؟"، فقد بدأ بتحديد معنى لمفهوم المجتمع الديمقراطي، إذا تبدو حسب ملاحظاته للمجتمع الأمريكي أنها مساواة في شروط، أما المجتمع الديمقراطي فيعني ذلك الذي لا تعود فيه تمايزات على صعيد الأنظمة والطبقات حيث يكون الأفراد متساويين اجتماعيا وذلك لا يعني أنهم متساويين فكريا أو اقتصاديا فالمساواة عند توكفيل تعني عدم وجود اختلافات في الشروط الوراثية نفس الفكرية لدى روسو.

فهرس المحتويات

شكر

إهداء

مقدمـــة.....

الفصل الأول: جينيالوجيا وكرونولوجيا المفهوم (الديمقراطية)

المبحث الأول: ضبط المفاهيم. 6

المبحث الثاني: تطور مفهوم الديمقراطية عبر التاريخ 15

المبحث الثالث: ما بين الديمقراطية الليبيرالية والديمقراطية الاشتراكية.....25

الفصل الثاني:الديمقراطية عند دوتوكفيل

المبحث الأول: مفهوم الديمقراطية عند دو توكفيل. 37

المبحث الثاني: انعكاسات فلسفة دو توكفيل على الفلسفة الأمريكية 47

المبحث الثالث: أهمية ديمقراطية دوتوكفيل في الفلسفة السياسية الأمريكية.....57

الفصل الثالث: دراسة نقدية لدتوكفيل

المبحث الأول: نقد الموجه لـ أكسيس دو توكفيل والرؤية الفلسفية لكل من "جون ديوي" و"جون راولز".....68

المبحث الثاني: معيقات الديمقراطية (انحرافات وعيوب الديمقراطية عند توكفيل) 82

المبحث الثالث: نقد توكفيل للفلاسفة الذين سبقوه (فلسفة السياسية الديمقراطية).....91

خاتمة 99

قائمة المصادر والمراجع 102

ملحق الشخصيات.....106

فهرس المحتويات 115

ملخص

ملخص:

إن رحلة ألكسيس دوتوكفيل إلى (و.م.أ) هي نقطة تحول في تاريخ فرنسا والفلسفة الفرنسية السياسية، فقبل ذلك لم تملك نظام مستقر بعد كالذي تملكه أمريكا، ومنه فقد أخذ منها المساواة وممارسة الحرية وبالتالي مارس توكفيل السياسة في ظل النظام السياسي من خلال توافق المساواة والحرية، وهذا تحديدا من خلال مؤلفه الشهير كتاب الديمقراطية في أمريكا من خلال جزئيه الأول والثاني فإن الديمقراطية إنعكاس يحث على بناء العلم السياسي جديد لعالم جديد كليا ألا وهو أمريكا الديمقراطية هي في عنوان الكتاب المعنى الذي يستخدم هيكل المساواة وشكل اجتماعي الذي يعارض هيكلة العالم الأرستقراطية فهي أكثر من فكرة سياسية وشكل من أشكال الحكومة.

الديمقراطية التي يبحث عنها توكفيل في (و.م.أ) لديها القوة التي تجتاح العالم.

Abstact :

The trip of Alexis de Tocqueville to (USA) is a turning point in the history of France and the French political philosophy. The compatibility of equality and freedom, and this specifically through his famous author, The Book of Democracy in America, through its first and second parts, democracy is a reflection that seeks to build a new political science for a completely new world, namely, America. It is more than a political idea and a form of government.

The democracy that Tocqueville seeks in the USA has the power to sweep the world.